الْقُسطَنْطِينية في اَلْكِتّاباتِ اَلْصلِيبية
١٠٩٦-١٢٠٤م
دراسة تحليلية للرؤى الصليبية لمدينة قسطنطين

د. طارق منصـــور

أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد

كلية الآداب-جامعة عين شمس

الْقُسطَنْطِينية في اَلْكِتّاباتِ اَلْصلِيبية

٦ ١٠٩ـ٤ ١٢٠م

دراسة تحليلية للرؤى الصليبية لمدينة قسطنطين

د. طارق منصــور*

أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد

كلية الآداب–جامعة عين شمس

اعتاد المؤرخون المحدثون لفترة طويلة النظــر إلــى حقبــة الحــروب الصليبية من الزاوية السياسية، الأمر الذي أفرز مئات الدراسات التي تعالج شتى الجوانب السياسية للحركة الصليبية، سواء في أوروبا أو في الــشرق العربــي. وإلى جانب هذه الدراسات، التي شكلت الخط الرئيسي فــي رؤيــة المــؤرخين للحركة الصليبية، ظهرت مجموعة من الدراسات الحديثة بالإنجليزية والفرنــسية والألمانية والعربية تعالج جوانب حضارية في تــاريخ هــذه الحركــة. وبقــي للمهتمين بتاريخ العلاقات البيزنطية الأوربية أن يعيدوا فحص الروايات الصليبية والبيزنطية والعربية لإعادة صياغة هذه العلاقات.

وتأتي هذه الدراسة[١] لترصد أهــم المعــالم الدينيــة والمدنيــة لمدينــة قسطنطين[٢] التي لفتت أنظار الكُتاب الصليبيين[٣] وكتبوا عنها بنوع من العجب أو الانبهار، والتي تعتبر دون شك أبرز معالم المدينة في الفترة من القرن الحــادي عشر إلى القرن الثالث عشر الميلادي. وتطرح هذه الدراسة عدة أســئلة مهمــة تودي بالباحث إلى الغوص في الأيديولوجية الصليبية لفهم سبب الاختلاف بــين

كاتب صليبي وآخر في رؤيته الحضارية للمدينة، ولماذا نجد كاتباً مثل وليم الصوري[٤] William of Tyre أو أودو الدويلي[٥] Odo of Deuil يكتبا روايات شبه مقتضبة عنها، على عكس بعض كُتاب الحملة الصليبية الرابعة[٦] من الصليبيين الذين فصلوا الحديث عن بعض منشآتها المدنية والدينية بنوع من الانبهار، سواء عن عمد أو غير عمد. ويحاول الباحث تحليل أسباب الكتابة التاريخية عند كل كاتب صليبي عن هذه المنشآت أو تلك، أو عدم كتابته أيضاً؛ وإذا ما كان لوضعه الاجتماعي أو السياسي أو الديني دور في هذا أم لا.

لقد مارست مدينة القسطنطينية، على الأقل منذ عهد شارلمان، سحراً على الغرب الأوربي، لا يقل عما كان لمدينة بيت المقدس عندهم.[٧] فقد كانوا ينظرون إليها على أنها مدينة الذهب،[٨] أو بالمعنى الحديث مدينة المال والجمال؛ فأتاها التجار والرحالة والحجاج من كل فج عميق.[٩] ويتأكد ثراء هذه المدينة من كلمات روبرت كلاري، وهو من مؤرخي الحملة الصليبية الرابعة، عندما يقول: "...لم يحدث مطلقاً–منذ بداية العالم–أن رأت العين أو غنم قوم مثل هذه الغنيمة الضخمة الغالية العظيمة، بل لم يحدث ذلك زمن الاسكندر أو شارلمان، لا قبلهما ولا بعدهما؛ ولا أظن–أنا شخصيا–أنه توفر في أغنى مدن العالم الأربعين من الثروة الهائلة ما توفر في القسطنطينية وما عثروا عليه بها؛ إذ يقول اليونانيون [البيزنطيون] إن ثلثي كنوز العالم موجودة في القسطنطينية، أما الثلث الآخر فموزع في بقية أنحاء العالم..."[١٠] وفي موضع آخر يقول: "...فإن ذكر لك أحد جزءاً من مئة عما في كنائسها وقصورها من ثروة وجمال وعظمة، بدا لك كأنه يروي أكذوبة، ولن تصدق ذلك..."[١١] لقد كانت المدينة تتمتع بكثير من المعالم والمفاتن بصورة يصعب على المرء وصفها. وكان البيزنطيون أنفسهم يدركون جيداً مدى مفاتن عاصمتهم وإشعاعها الثقافي؛[١٢] كما أن حجم المدينة الكبير كان

شيئاً عظيماً عند هؤلاء الرحالة، فنرى ستفن النوفوجوردي يشبه الدخول إلى القسطنطينية بالدخول إلى غابة عظيمة، وأن المرء لابد له من مرشد جيد حتى يتمكن من أخذ جولة بها؛[١٣] بل إن روبرت كلاري وفلهاردوان، على حد قول روث ماكريديس، يقارنان بينها وبين بعض مدن فرنسا أو الفلاندرز.[١٤]

وبالإضافة إلى هذا يمكن القول أنها كانت مدينة الغفران أيضا لكل حاج مسيحي يذهب إليها بحثاً عن الخلاص، فعلى الرغم من أن مدينتي روما وبيت المقدس كانتا تحتويان على الكثير من الكنائس المهمة ورفات القديسين إلا أنهما لا يعتبرا شيئاً يذكر في هذا المضمار إذا ما قورنا بما حوته مدينة القسطنطينية من الكنائس والأديرة[١٥] وآثار القديسين. فقد كانت كنيسة آيا صوفيا،[١٦] التي أعاد بناءها الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م) في القرن السادس الميلادي، واحدة من عجائب العالم، وكانت تحوي أكبر وأهم مجموعة من آثار القديسين والمعروفة باسم "آلام المسيح" Passion؛ ونظراً لأهمية كنيسة آيا صوفيا فقد أمَّها كل زوار القسطنطينية الأجانب تقريباً، حيث أدهشتهم بروعتها وكنوزها وقدسيتها وذخائرها المقدسة؛ وكذلك كنيسة القصر الإمبراطوري الصغيرة المعروفة باسم كنيسة عذراء فاروس. كما كانت كنيسة الرسل المقدسين[١٧] Holy Apostles واحدة من مفاتن القسطنطينية،[١٨] حيث كانت تحوي رفات سبعة من القديسين، على حد قول روبرت كلاري.[١٩] وهذا الأمر الأخير كان يضفي على المدينة جاذبية فريدة،[٢٠] خاصة لأولي القلوب الرقيقة، من الذين يبحثون عن رضا الرب وطهارة النفس.

ولا غرو، فقد كان العصر الوسيط عصر الإيمان. فهاهم صليبيو الحملة الثانية، وعلى رأسهم مليكهم لويس السابع، عند احتفالهم بذكرى القديس دِنيس St. Denis في القسطنطينية أرسل إليهم الإمبراطور البيزنطي مجموعة منتقاة

من رجال الاكليروس، كان أغلبهم من الخصيان ذوي الأصوات الرخيمة، الذين بهروا الفرنجة، ليس بملابسهم الفخمة الموشاة بالذهب، الرائعة الألوان فحسب، بل بغنائهم الديني العذب الذي رقت له قلوبهم؛ كما أدخلوا عليهم البهجة بأسلوبهم الرشيق وتصفيقهم الرقيق وانحناءاتهم.[٢١] وهكذا، كان حال البعض ممن يدلفون إلى المدينة إما لزيارة معالمها، أو للتعبد فيها بإخلاص.[٢٢]

وجدير بالذكر أنه كان بالقسطنطينية ما يمكن أن نطلق عليه اليوم اسم "دليل المسافر"، وهو عبارة عن قائمة بكنائس العاصمة البيزنطية الأكثر أهمية وذخائرها المقدسة؛ وكان يحوي بعض القصص الخارقة المتصلة برفات القديسين والأيقونات الموجودة في تلك الكنائس. وقد ترجم هذا الدليل إلى اللاتينية وشاع في الغرب الأوربي أوائل القرن الثاني عشر الميلادي، على ما يبدو للمرة الأولى تحت اسم *anonymus Mercati* ، ربما بواسطة حاج انجليزي.[٢٣] وقد سار على نهجه الأسقف الأيسلندي نيقولاس Nicholas من ثينجيرار Thingeyrar، ووليم من مالمسبيري William of Malmesbury، الذي أدمج قائمة برفات القديسين الموجودة في القسطنطينية في كتابه تاريخ ملوك إنجلترا، وغيرهم.[٢٤] وقد دفعت هذه الأهمية الدينية للقسطنطينية أحد الكتاب المعاصرين للحملة الصليبية الرابعة ويدعى جونتر الباريسي Gunther of Pairis [٢٥] إلى أن يخصص كثيراً من سطور مصنفه "تاريخ القسطنطينية"، للحديث عن الذخائر الدينية المقدسة وآثار القديسين والشهداء.[٢٦] الأمر الذي جعل كتابه يحتل مكانة تالية، من الناحية التاريخية، بعد فلهاردوان[٢٧] Villehardouin وروبرت كلاري Robert of Clari،[٢٨] ممن كتبوا عن أحداث هذه الحملة وعاصروها.

وقد بلغت المدينة درجة من الرقي الحضاري جعلت بعض الصليبيين ينظرون إلى معالمها على أنها من العجائب، فها هو فوشيه الشارتري Fulcher

of Chartres[29] يبدى انبهاره صراحة بالمدينة وحجمها وآثارها وثراءهـا عنـدما قال:

"أواه! يا لها القسطنطينية من مدينة نبيلة وجميلة! كم بها مـن الأديـرة والقصور التي شيدت بمهارة فائقة! وكم من الأعمال الباهرة تصافح البصر فـي شوارع المدينة وأحيائها! سيكون أمرا مضجراً أن نعدد الثروات كافة الموجـودة هناك من كل نوع؛ من ذهب وفضة، وأنواع كثيرة مـن العبـاءات، والـذخائر المقدسة. ففي كل فصل من فصول السنة يُحضر التجار الذين يفدون كثيرا عـن طريق البحر إلى هذا المكان جميع ما يحتاج إليه الإنسان..." [30]

أما روبرت كلاري فيرى في كنيـسة القديـسة مـريم، والهيبـودروم والأعمدة التي تزين ساحة المدينة عجائب لم يرها من قبل.[31] بل أن الـصليبيين استبد بهم الإعجاب بروائع المدينة وعجبوا كل العجب لمنظـر كاتدرائيـة آيـا صوفيا، وما حوته من كنوز.[32] ويشير فلهاردوان أيضاً، وهو من مؤرخي الحملة الصليبية الرابعة، إلى الانبهار الصليبي بهذه المدينة عندما يقول أن الـذين لـم يروا القسطنطينية من قبل "أخذوا يملئون أبصارهم منها، إذ لم يخطر ببالهم أبـداً أن يكون في العالم بلد كهذا البلد في روعته وعظمته..."[33]

وبالرغم من هذا فإن صليبيي الحملة الأولى المعـسكرين أمـام أسـوار القسطنطينية، بأمر الإمبراطور البيزنطي، لفترات طويلـة بلغـت فـي بعـض الأحيان أربعة عشر يوما، لم تُتح لهم الفرصة لمشاهدة المدينة ومعالمها عنـدما كانوا يخلدون للراحة، باستثناء قلة قليلة منهم،[34] وهو مـا يـشير إليـه فوشـيه الشارتري عند حديثه عن الحملة الصليبية الأولى.[35] أما صليبيو الحملة الرابعـة فقد كانوا أكثر حظاً من سابقيهم، بحيث ما أن انطلقوا في المدينة حتـى أخـذوا "...في مشاهدة ضخامة المدينة وقصورها وأديرتها وكنائسها الجميلة وما حفلـت

به من الروائع العظيمة، واستبد بهم العجب منها غاية الاستبداد، وعجبوا أشد العجب لمنظر كنيسة القديسة صوفيا وما فيها من كنوز..."[٣٦]

لقد تمتعت هذه المدينة بهيبة شديدة في عيون الأوربيين المعاصرين لها،[٣٧] مما دفع كتاب الحقبة الصليبية للإشادة بمظاهرها الجمالية بانبهار، كما سبق القول، من أمثال وليم الصوري، الذي ذهب إليها في بعثة دبلوماسية عام ١١٦٨م،[٣٨] وقدم بعض التفاصيل المهمة عنها،[٣٩] وفوشيه الشارتري، وأودو الدويلي، الذي رافق الملك لويس السابع، ملك فرنسا، إلى الشرق وزار المدينة، وأشاد بجمالها، وفُتن بجمال صوت المنشدين فيها،[٤٠] وقصر قسطنطين،[٤١] وقصر البلاشيرن؛[٤٢] وفلهاردوان،[٤٣] وروبرت كلاري، وجونتر الباريسي، السابق الإشارة إليهم. وبالإضافة إلى الكتاب الصليبيين هناك البعض من غير الصليبيين وعاشوا في الحقبة الصليبية، تحدثوا عن مظاهر المدنية في المدينة وطبوغرافيتها وآثارها من أمثال بنيامين التطيلي، والادريسي، وأنطونيوس، أسقف نوفجورود، الذي زار المدينة نحو عام ١٢٠٠م،[٤٤] ووليم من مالمِسبيُري، الذي كتب عمله عنها نحو عام ١١٣٥م وغيرهم.[٤٥]

ويبدو أن هذا الانبهار العالمي بالقسطنطينية جعل هذه المدينة مدينة عالمية، يؤمها الزائرون من كل أنحاء العالم؛ وهذا أدى بدوره إلى توافد غالبية الأجناس عليها، إلى درجة جعلت يوستاثيوس التسالونيكي يقول: "يا إلهي! يا لهذه الملابس العجيبة! ويا لذلك الكم من اللغات الغريبة! إني اشعر وكأن كافة الأجناس من شتى الأنحاء ماثلة هنا، فذلك الكوماني أعرفه جد المعرفة، وباتت رؤيته لا تدهشني، أما هذان الرجلان الصربي والمجياري، فهما من رعايانا، كما أعرف ذلك الرجل فهو من سلالة الأتراك المتسمين جميعا بالبدانة المفرطة، وكذلك هذا الأرمني الذي يكشف بدهاء عينيه وبحاجبيه الملتصقين عما يدور في

أعماق نفسه من خبث ودهاء، وأعرف ذلك الهندي، ذا البشرة الداكنــة، وذلــك الحبشي ذا البشرة الحالكة السواد، وأعرف أيضا ذلك الفرنجـــي المتغطــرس ذا الطلعة البهية، أما ذلك الأخير الذي يليهم فمن الجنس الإيطالي المتغطرس، الذي أتعرف عليه بمجرد رؤيته... بيد أن هناك أناسا لا أعــرف هــويتهم، فلهجــتهم الغريبة وهيئتهم العجيبة تبعث على الدهشة، وتدفع المرء إلى إطالة النظر فيهم، أولئك أتوا من أقاصي الأرض من حيث لا يتوقع المــرء".[٤٦] وقــد راح يوحنــا تزيتزس J. Tzetzes[٤٧] يسوق سبع تحيات بسبع لغات أجنبية مختلفة، مؤكدا على أنه قد أصبح من الضروري الإلمام بها في بيزنطة.[٤٨]

على أية حال، هاهو فوشيه الشارتري، أحد كتــاب الحملــة الــصليبية الأولى الذين كتبوا عن القسطنطينية، لا يُفصل الحديث عن المدينة ومعالمها، بل يبد انبهاره بها فقط، مثله مثل باقي الصليبيين؛ ولعل تفسير هذا يكمــن ببــساطة شديدة في أنه كان ضمن زمرة أعضاء الحملة الصليبية الأولى[٤٩] القابعين خارج أسوار القسطنطينية، بأمر الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنينوس، خوفا من عبثهم بالمدينة ونهبها. ويقول فوشيه الشارتري صراحة: "...لم يكــن بمقــدورنا دخول المدينة، لأن الإمبراطور لم يسمح بهذا، إذ كان يخشى أن ننتهز الفرصــة ونتآمر للإضرار به...ولم يكن مسموحا إلا لخمسة أو ستة أفراد بالــدخول إلــى المدينة مرة كل ساعة. وهكذا، بينما كان البعض منا يخرج منها، كان الآخــرون يدخلون إليها للصلاة في الكنائس".[٥٠] وبهذا لم تتأت الفرصة لفوشــيه الــشارتري للتجول في المدينة بحرية والتحقق من معالمها، إلا لمدة ساعة فقط، وهو الأمــر الذي لا يتيح له زيارة معالم المدينة الرئيسية على الأقل، خاصة إذا كان راجلاً، والتي لو كان قد زارها لكتب عنها، أو على الأقل كتب عن كنيسة آيــا صــوفيا

وكنيسة الرسل المقدسين والقصور الإمبراطورية، وهي أبرز المعالم التي لفتت انتباه بعض الكتاب الصليبيين الآخرين.

وتجدر الإشارة إلى أن المؤلف المجهول[٥١] لكتاب "أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس" يشير إلى حجم التخريب الذي ألحقه الصليبيون بقصور وكنائس القسطنطينية عشية الحملة الصليبية الأولى. فقد خربوا الكنائس، وخلعوا الرصاص عن أسقفها وباعوه للبيزنطيين، وأضرموا النار في قصور المدينة وبيوتها؛ الأمر الذي استشاط له الإمبراطور ألكسيوس كومنينوس غضبا.[٥٢]

على أية حال، هذا عن صورة القسطنطينية في عيون كتاب الحملة الصليبية الأولى، أما أودو الدويلي، الذي كان برفقة سيده لويس السابع ملك فرنسا، في الحملة الصليبية الثانية،[٥٣] فقد أتيحت له فرصة لزيارة المدينة كأحد أعضاء حاشية الملك الفرنسي عند وصولهم إليها، وإقامتهم بها في أحد القصور الإمبراطورية شمال غرب المدينة.[٥٤] وكتب عن بعض معالمها من وجهة نظره الخاصة. ولا شك أن الموقف السياسي الذي تعرض له الفرنجة في هذه الحملة اختلف عن الذي تعرض له الألمان، الذين ذاق سيدهم كونراد المذلة والهوان في آسيا الصغرى، كان عاملاً مؤثراً على كتابات أودو الدويلي عن العاصمة البيزنطية. فنجده يقول: "إن المرء لا يستطيع فهم اليونانيين [البيزنطيين] دون أن يكون لديه خبرة بهم أو دون حصوله على إلهام نبوئي".[٥٥] وفي موضع آخر يضيف مثالاً آخر من الانيادة[٥٦] حيث يقول: "أخشى من اليونانيين، حتى عندما يحملون الهدايا"؛[٥٧] ثم يقول عن القسطنطينية:"إن المدينة تسلب ضيوفها أيضاً، كما لو كانوا أعداءً لها".[٥٨]

يبدو أن أودو الدويلي لم يختلف عن بقية الصليبيين عند رؤيتهم لمدينة القسطنطينية للمرة الأولى، عندما لفت نظره جمالها وثرائها، حيث تحدث عن

طبوغرافية المدينة فقال: "القسطنطينية، مجد اليونانيين، ذائعة الصيت التـــي لـــم تزل غنية بالأملاك، تبدو مثلثة الشكل كشراع سفينة. وفي داخل هذا المثلث تقــع سانتا صوفيا وقصر قسطنطين، الذي يحتوي على كنيسة مبجلة بفضل ما تحويه من آثار مقدسة جدا".[٥٩]

وهكذا، يبدو أن أول ما لفت نظره في المدينة كان كنيـسة آيـا صـوفيا والقصور الملكية. غير أنه يُفصل الحديث بعد ذلك عن قصر البلاشيرن، الـذي يقول عنه أنه على الرغم من أن أساساته تمتد على أراض منخفـضة، إلا أنـه يكتسب سمواً من خلال عمارته الممتازة وبهائه، وبسبب ما يقع حوله من ثلاثـة جوانب فإنه يبعث في سكانه البهجة الشديدة بوقوعـه علـى البحـر والحقـول والمدينة. وما يقع خارجه جماله فائق، أما ما يقع داخله فيفوق جماله الوصـف. فهو مزين في كافة أرجائه بالذهب بشكل متقن، وتشكيلة عظيمة مـن الألـوان؛ وأرضيته مصنوعة من الرخام، ومعبدة بمهارة فائقة. ويـضيف أودو الـدويلي قائلا: "...ولا أعرف إذا ما كان الفن الرائع أم المواد الثمينة جـداً همـا اللـذان يهبانه هذا الجمال الشديد والقيمة العالية"؛[٦٠] ثم يضيف معلومة مهمة عـن هـذا القصر عندما يذكر أن هذا القصر هو المبنى الوحيد الـذي كـان يعلـو فـوق الأسوار.[٦١]وقبل المضي مع رواية أودو الدويلي يلوح سؤال في الأفـق: لمـاذا فصل أودو الحديث عن قصر البلاشيرن دون غيرة من القصور الإمبراطوريـة في المدينة؟

ومن الملاحظ على معظم الكتاب الصليبيين الذين زاروا أو كتبـوا عـن القسطنطينية أنهم يصفون بعض معالمها وصفاً عاماً، وفـي مواضـع أخـري يصفونها وصفا دقيقا، مما يوحي بزيارتهم لها شخصياً والوقوف عند التفاصـيل الدقيقة لهذا المَعْلم أو ذاك. ومن أصحاب الفئة الأخيرة أودو الدويلي، الذي كـان

لرفقته لسيده لويس السابع الفضل في هذا، حيث كتب عن الأماكن التي زارها لويس السابع وأودو بطبيعة الحال؛ ووصفه لقصر البلاشيرن يوحي بأن الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنينوس خصص ذلك القصر لإقامة لويس السابع وحاشيته، فما كان لأودو الدويلي أن يدخل القصر البيزنطي إلا برفقة سيده لويس السابع. ولعل قصر البلاشيرن هو المَعْلم الوحيد الذي تحدث عنه بالشكل الذي عرضناه، دون بقية معالم المدينة، التي أوجز الحديث عنها. خلاصة القول أن تحركات أودو كانت طبقا لتحركات سيده لويس السابع، ووصفه يتسم بالإسهاب أو الاقتضاب طبقاً لمواقع زيارات سيده.

ومما يحسب لأودو الدويلي أنه أشار بين ثنايا كتابه عن "رحلة لويس السابع إلى الشرق" إلى سوق الصيارفة الذي كان يقع قبالة القصر الإمبراطوري في القسطنطينية، وكان معدل سعر تغيير العملة آنذاك مناسباً تماماً لهم، حيث كان أقل من دينارين مقابل واحد ستامينا[٦٢] stamina وماركاً واحداً لكل ثلاثين ستامينا (=ثلاثة صولدات). ويفهم من روايته أيضاً أن هذا المعدل لم يكن ثابتاً في شتى أنحاء بيزنطة، فقد اختلف معدل تغيير العملة خارج القسطنطينية عن داخلها. فقد دفعوا خمسة أو ستة دنانير مقابل ستامينا واحدة، وماركاً واحداً لكل اثنا عشر صولدي، بعد رحيلهم عن القسطنطينية بمسيرة ثلاثة أيام.[٦٣]

وهكذا، قدم أودو معلومات مهمة عن الحالة الاقتصادية في بيزنطة، عن دون قصد منه بطبيعة الحال، وهي تدل على مدى الاضطراب في العملة البيزنطية آنذاك.وينتقل أودو الدويلي بعد ذلك للحديث عن أسوار المدينة[٦٤] والحقول التي تحيط بها، والتي كانت تزخر بالحدائق، التي تزود المواطنين جميعاً بكل أنواع الفواكه،[٦٥]حيث يقول: "تقف أمام المدينة حلقة ممتدة ومؤثرة من الأسوار التي تشتمل على أنواع مختلفة من الشراك وتحتوي على قنوات مائية وبرك. وتوجد بداخلها أيضاً تجاويف معينة وكهوف ومزودة بحظائر

وبرك. وتوجد بداخلها أيضاً تجاويف معينة وكهوف ومزودة بحظائر للحيوانـــات في موقع من الغابات"؛[٦٦] ثم يعاود الحديث بقوله "...والضلع الثالث من المدينـــة المثلثة، محصن بالأبراج والأسوار المزدوجة التي تمتد لما يقرب من ميلين مـــن البحر إلى القصر. وهذا الجزء من الأسوار ليس قويا للغاية، وليس بـــه أبـــراج شاهقة.[٦٧] ويشير إلى أن مصدر قوة المدينة يكمن في أنها تضع ثقتها فـــي حجـــم سكانها وفي فترة السلام الطويلة التي تنعم بها.[٦٨] ولعله بهذا يقصد الجزء الشمالي من الأسوار، الذي يربط مابين الأسوار البحرية شرق المدينة، والأسوار البريـــة غربها.

وإذا كان أودو الدويلي قد تناول قصر البلاشيرن والأسوار مـــن واقـــع رؤيته الخاصة، فإنه ينفرد برواية مهمة تشير إلى مساكن فقـــراء القـــسطنطينية، وإلى أي مدى تنتشر بها الجرائم واللصوص والمجرمين، الذين يعيشون هنـــاك دون قانون يردعهم. وفي هذا الصدد يقول:"أن المدينة نفسها قذرة ونتنة، وفـــي العديد من الأماكن التي يضربها الظلام الدائم، نظرا لأن بنايات الأغنيـــاء تلقـــي بظلالها علي الشوارع،[٦٩] تاركة هذه الأماكن القذرة المظلمة للفقراء والرحالـــة، تقع هناك جرائم قتل وسرقات وجرائم أخرى، ممن تحب حياة الظلام. وعـــلاوة على ذلك، نظرا لأن الناس يعيشون بشكل فوضوي في المدينة، التي لها أسيادها من الأثرياء، بقدر ما فيها من الفقراء واللصوص، فإن المجرم لا يعرف الخوف ولا الحياء، لأن الجريمة هناك ليس لها قانون يُعاقب بها فاعلها ولا ترى النـــور أبداً."[٧٠] وهو بهذا يقدم دليلاً على التناقض ما بين رؤية الأجانب للقسطنطينية وهم خارجها، وبين حقيقة الوضع الداخلي لها، والمعلوم لسكانها.[٧١]

أما كنائس المدينة فيبدو أنه لم تُتح فرصة لأودو الدويلي ليتجـــول بهـــا كيفما شاء، فقد أشار إلى كنيسة آيا صوفيا فقط، أما بقية الكنائس فقد قال عنهـــا

أنها ليست مساوية لآيا صوفيا في الحجم، غير أنها تساويها في الجمـــال، الـــذي يُدهش المرء لجمالها وآثارها المقدسة.[٧٢]غير أنه يومـــا مـــا زار برفقـــة ســـيده والإمبراطور البيزنطي بعض الأضرحة، التي يبدو أنها لم تثره للكتابة عنها.[٧٣]

بيد أن أهمية رواية أودو الدويلي عن القسطنطينية لا تقـــف عنـــد حـــد وصفه لبعض معالم المدينة، بل تمتد لتشمل رؤية خاصة للمراسم الإمبراطورية فيها، وهو بهذا يعطي مزيداً من الضوء حول هذا الأمر،[٧٤]الـــذي ســـيقدم ولـــيم الصوري تفاصيلاً مهمة عنه. فيذكر أودو أن من عادات البيـــزنطيين أن تظـــل حاشية الملك كلها واقفة بينما سادتهم قعود. ويستطيع المرء أن يـــرى الـــشباب واقفين ثابتين، برؤوس محنية ونظراتهم متجهة بتركيز وهدوء صوب ســـادتهم، وجاهزون لإطاعة أوامرهم. وهم ليست لديهم عبـــاءات، غيـــر أن لهـــم ثيـــاب حريرية ثمينة، قصيرة، ذات أكمام ضيقة، ومخيطة بإحكام من كل الجوانـــب؛[٧٥] لذلك فهم يتحركون دائما دون إعاقة، كما يفعل الرياضيون. والجماعات الفقيـــرة منهم يجهزون أنفسهم بثياب كتلك القصيرة، لكن من نوع أرخـــص.[٧٦]ويـــستمر أودو الدويلي في تسجيل مشاهداته على المراسم الإمبراطورية البيزنطيـــة عنـــد استقبال الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنينوس للملـــك لـــويس الـــسابع عـــام ١١٤٧م في القصر الإمبراطوري. فيقول أودو الدويلي: "...عندما اقتربنـــا مـــن القسطنطينية خرج كل النبلاء [البيزنطيين] والرجال الأثريـــاء، ورجـــال الـــدين وسكانها لمقابلة الملك [لويس السابع] واستقبلوه بشرف يليق بـــه، وطلبـــوا منـــه بتواضع أن يمثل أمام الإمبراطور وأن يلبي رغبة الإمبراطور أن يراه ويتحدث معه..."وقد استجاب لويس السابع لطلب الإمبراطور، حيث دخل إليه فـــي عـــدد قليل من رجاله، واستقبلوا استقبالاً إمبراطورياً في رواق القصر.[٧٧] ويشير أودو إلى أن الإمبراطور البيزنطي استقبل ملك فرنسا بالأحضان والقبلات، ودلفا إلـــى

الداخل، حيث كان هناك كرسيان موضوعان لهما، ومن ثم جلسا سوياً.[٧٨]وكـــان يحيط بهما رجالهما، حيث بدأت محادثاتهما وقام المترجم بممارسة عمله. وبعــد انتهاء المحادثات بين الطرفين افترقا كما لو كانا أخـــوين، واصـــطحب النـــبلاء الملك لويس السابع إلى الخارج، إلى القصر الذي أعد لإقامته.[٧٩] وهكــذا، علـــى الرغم من أن أودو الدويلي أراد في روايته أن يعلي من شأن سيده، الـــذي قبـــل دعوة الإمبراطور للقائه شفقة به،[٨٠]ولم يشر إلى أن سيده جلس على كرسي أقـــل من الكرسي الإمبراطوري، قدم تفاصيل مهمة عـــن مراســـم اســـتقبال الملـــوك الأجانب في القسطنطينية، والبرامج الترفيهية التي كانت تعد لهم؛ وتعكـــس لنـــا كلماته أن الإمبراطور البيزنطي كان يستقبل الملوك الأجانب وهـــو قـــابع فـــي قصره، وليس خارجه؛ وهو الأمر الذي سنراه أيضاً مع عمـــوري الأول، ملـــك بيت المقدس.

على أية حال، ننتقل الآن إلى مشاهدات وليم الصوري عن القسطنطينية، التي أشار فيها عدة مرات إلى القصور الإمبراطورية، لاسيما قصر البلاشـــيرن، أو القصور الخاصة المنتشرة على ساحل البسفور،[٨١]والتي تمتد بطوله إلى مسافة ستة أو سبعة أميال.[٨٢] وينبغي التنويه هنا إلى أهمية رواية وليم الصوري، لأنها رواية شاهد عيان، حيث سبق وأن زارها فـــي عـــام ١١٦٨م ضـــمن ســـفارة دبلوماسية صليبية أوفدها عموري الأول، ملك بيت المقدس، إلـــى الإمبراطـــور البيزنطي مانويل كومنينوس؛[٨٣] كما كان ضمن أعضاء الوفد المصاحب للملـــك عموري الأول، ملك بيت المقدس، عند زيارته للمدينة في العاشر من مارس عام ١١٧١م، وهي الزيارة التي استمرت أكثر من أربعة شهور.[٨٤]

يشير وليم الصوري إلى طبوغرافية المدينة حيث يذكر أنها تقع جنـــوب بحر بُنطس (البحر الأسود) بنحو ثلاثـــين مـــيلا. كمـــا يـــشير إلـــى مـــضيق

الهلليسبونيت أو البروبونتس كما كان يسمي أيضاً.[٨٥] ويـذكر أن هـذه المدينـة عبارة عن مثلث غير متساوي الأضلاع، التي يمتد أولها من تلك الزاوية الواقعة بين البحر وبين الهلليسبونيت، حيث توجد كنيسة سان جورج، المعروفـة باسـم مانجانا، ويمتد هذا الضلع بامتداد الميناء إلى القصر الجديد المسمى البلاشـيرن. أما الضلع الثاني فيمتد على طول البسفور عند دير سان جورج وحتـى البوابـة الذهبية. أما الضلع الأخير فيمتد بطول الإقليم من البوابة الذهبية وحتـى قـصر البلاشيرن، الموجود عنده نهر تغزر مياهه شتاء وتقل صيفا ويصب في الميناء، ويقع عليه جسر.[٨٦] وبهذا يتفق وليم الصوري مع أودو الدويلي في ملاحظتيهمـا أن القسطنطينية مثلثة الشكل، غير متساوية الأضلاع. ويصف ولـيم الـصوري قصر البلاشيرن بأنه محصن بالأسوار والأبـراج ووسـائل الـدفاع اللازمـة له،[٨٧]وأنه مقسم من الداخل إلى عدة أجنحة وغرف؛ ويستشف من كلامـه أنـه كانت تقع بالقرب منه عدة دور مخصصة لإقامة أعضاء الوفـود الرسـمية.[٨٨] ويشير وليم الصوري إلى أنه عند هذا القصر كانـت تقـع كنيـسة الـشهيدين قوزماس وداميانوس.[٨٩]

ويتحدث وليم الصوري أيضاً عن القصر الإمبراطوري، الذي كان يقـع على شاطئ البحر مواجهاً الشرق، وكان له رصيف عجيب من الرخـام الرائـع يصله بالبحر. وكانت السلالم المؤدية إلى الماء وتماثيل الأسود والأعمدة منحوتة كلها من الرخام، وتضفي على القصر روعة ملكية. ويشير إلى أن هذا المـدخل كان مخصصاً للإمبراطور فقط، عندما يريد الصعود إلى القـسم العلـوي مـن القصر.[٩٠]وفي الطابق الثاني من القصر الإمبراطوري كانت توجد عدة حجـرات وأجنحة، منها ما هو مخصص للاجتماعات الإمبراطورية، حيـث اجتمـع فيـه الإمبراطور مانويل كومنينوس مع الملك عموري الأول، عنـد زيـارة الأخيـر

للقسطنطينية، وكانت تسدل ستائر غاية في الفخامة والدقـة وروعـة النقـوش والزخارف لحجبهما عن باقي أعضاء الوفد الـواقفين بالخـارج. وفـي قاعـة الاجتماعات هذه كان الإمبراطور يجلس على عرشه الذهبي الفخم مرتديا ملابسه الإمبراطورية؛ كما كانت بعض هذه الأجنحة مخصصة لإقامة الملوك الوافـدين على الإمبراطور.[٩١]

ويقدم وليم الصوري تفاصيلاً مهمة عن مراسم زيارة الملـك عمـوري الأول للقسطنطينية واستقبال الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنينوس لـه فـي القصر الإمبراطوري.[٩٢] فقد تم استقبال عموري الأول عند وصوله إلى المرفـأ الإمبراطوري، حيث صعد، دون غيره، من المدخل المخـصص للإمبراطـور، وهذه ملاحظة مهمة تحسب لوليم الصوري؛[٩٣] ثم مضى رجال القصر البيزنطي به هو وحاشيته وساروا بهم في أبهاء متنوعة وحجرات مختلفة الأنـواع حتـى انتهوا إلى الطابق العلوي من القصر، حيث كان الإمبراطور مع كبـار نبلائـه، وقد أسدلت الستائر على قاعة الاجتماعات الإمبراطورية. أما كبار الشخـصيات فوقفوا خارج هذه القاعة في استقبال الملك عموري الأول، ثم ساروا به إلى مـا وراء السجوف. ويلفت وليم الصوري النظر هنا إلى أن البيزنطيين فعلوا هذا من أجل أن تظل هيبة الإمبراطور محفوظة، وأن يظل جلاله قائماً في أعين الوافدين عليه. وعند وصول عموري الأول قام الإمبراطور مانويل كومنينـوس بتحيتـه تحية تليق به. وما كاد الملك عموري الأول يدخل القاعة حتى رفعت الـستائر، وبدا الإمبراطور وهو جالس على عرشه المذهب الفخم.[٩٤]

وقد أدى الإمبراطور التحية لعموري في رقة بالغة تلفها مظاهر التحيـة المألوفة في البلاط البيزنطي، وعبر بالإشارة تعبيراً واضحاً عن سـعادته بلقـاء عموري الأول ورجاله. وكان قد أمر خدم القـصر وموظفيـه بإعـداد أجنحـة

خاصة، غاية في الروعة، للملك ورفاقه. ثم أذن للجميع بالانصراف للراحة، بعد أن حدد لهم ساعة اللقاء التالي.[٩٥] وكان الوفد الصليبي يعقد اجتماعات يومية مع البيزنطيين تارة ومع الإمبراطور مانويل كومنينوس تارة أخرى، في ساعات محددة للمحادثات. وفي هذه الأثناء أغدق الإمبراطور البيزنطي الهدايا التي تتناسب وعظمته على ضيوفه، بالإضافة إلى سؤاله الدائم عنهم وعن مدى راحتهم في إقامتهم بالقصر. ووصل الأمر أن الإمبراطور أمر بفتح الأماكن الخاصة في القصر لهم، بما فيها حجراته، إذا طلبوا ذلك.

ولم يفت وليم الصوري الإشارة إلى الذخائر المقدسة بالقصر، والتي كانت محفوظة به منذ زمن بعيد في غرف خاصة، أمثال ذخائر القديسين، آثار السيد المسيح، كالصليب والمسامير والحربة، والإسفنجة، وقصبة الغاب، والتاج الشوكي، والثوب الكتاني، والخفين؛ وكذلك آثار الأباطرة الأوائل أمثال الإمبراطور قسطنطين وثيودوسيوس وجستنيان الأول، المحفوظة في الخزائن بغرف القصر الإمبراطوري المقدسة.[٩٦]

وكان الإمبراطور يدعو الملك وحاشيته بين حين وآخر ليروحوا عن أنفسهم بشتى أنواع التسلية اللائقة بهم، حيث زاروا الهيبودروم، وشاهدوا عروضاً موسيقية وفنية، وزاروا أعمدة المدينة وأقواس النصر.[٩٧]

وبعد هذه المدة من الإقامة في القصر الإمبراطوري أمر الإمبراطور بنقل إقامتهم إلى قصر البلاشيرن، ربما كنوع من التغيير أو إظهار جمال القصور البيزنطية أمام الزوار الصليبيين. وصدرت الأوامر بتوفير أماكن تتوفر بها الراحة وتليق بنزلاء الإمبراطور، على أن يراعى في هذه الأماكن ألا تبعد كثيراً عن القصر. وقد كان الملك عموري الأول يتحرك في المدينة مصحوباً بحراسة إمبراطورية خاصة به، حيث زار آثار المدينة من كنائس وأديرة، والتي

لا تحصى على حد قول وليم الصوري، وشاهد أقواس النصر والأعمدة التذكارية؛ وكان يقوم بالشرح له مرشدون بيزنطيون من كبار النبلاء؛[٩٨] ثم انتقل الملك عموري الأول بعد ذلك لزيارة مدخل البسفور من جهة البحر الأسود، لرغبته الخاصة في التعرف على المكان؛[٩٩] وعاد بعد ذلك لإتمام المفاوضات مع الإمبراطور مانويل كومنينوس. وبعد انتهاء الزيارة وإتمام المفوضات بين الطرفين استأذن الملك عموري الأول الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنينوس بالرحيل للعودة إلى بيت المقدس. وهنا أغدق عليهم الإمبراطور من كرمه ثانية بسخاء لدرجة أن قال عنها وليم الصوري: "وأغدق الإمبراطور عليه وعلى من معه من كرمه ما يفوق كل ما كان أغدقه عليهم من قبل وما يعجز اللسان عن إيفائه حقه من الثناء، فقد وصله الإمبراطور بأثقال من الذهب وأحمال من الملابس الحريرية وكثير من السلع الأجنبية الصنع؛ كما نال من معه-حتى أصغرهم مكانة-هدايا لا حصر لها".[١٠٠] وعندما وجد النبلاء البيزنطيون ما فعله الإمبراطور مع أعضاء الوفد الصليبي ومليكهم، بدأوا في تقديم الهدايا الثمينة، الدقيقة الصنع إليهم أيضاً.[١٠١]

على هذا النحو، انتهت مراسم استقبال الملك عموري الأول بالقسطنطينية، والتي يظهر من وصف وليم الصوري لها، أن الملك عموري الأول اُستقبل في القسطنطينية بحفاوة بالغة، أكثر من تلك التي قوبل بها لويس السابع ملك فرنسا هناك، ووصل الحد أن أغدق عليه الإمبراطور من الهدايا الثمينة ما لم يكن متوقعاً؛ وقد أعد له وحاشيته برنامجاً ترفيهياً شاملاً. وإذا كانت رواية وليم الصوري عن مراسم الاستقبال في البلاط البيزنطي تتفق في خطوطها العامة مع رواية أودو الدويلي إلا أنه من الواضح أن الإمبراطور البيزنطي كان يتعامل من ضيوفه من منطلق أنه ذا اليد العليا.

ولعل اختلاف درجة الحفاوة البيزنطية الإمبراطورية فيما بين لويس السابع، ملك فرنسا، وعموري الأول، ملك بيت المقدس، له دوافعه الوجيهة. فلويس السابع لم يأت إلى بيزنطة زائراً أو لمقابلة الإمبراطور، بل عابراً بها في طريقه إلى الأراضي المقدسة، ومعسكراً بقواته أمامها لحين وصول بقية القوات الصليبية المرافقة له؛ وقد طلب الإمبراطور البيزنطي لقاءه، مثلما كانوا يفعلون مع قادة الحملات الصليبية، لترتيب الأمور معه. كما أن لويس السابع كان معنياً بشيء واحد فقط ألا وهو أورشليم، واضعاً في حسبانه المصير الذي آل إليه كونراد، ملك ألمانيا. أما عموري الأول، ملك بيت المقدس، فكان من الطبيعي أن يستقبله نفس الإمبراطور بحفاوة بالغة، أولا: لأن عموري الأول جاء في زيارة رسمية إلى القسطنطينية، استمرت عدة أشهر. ثانياً: لأن المصالح المشتركة بين الطرفين، البيزنطي والصليبي، جمعتهما على مصلحة واحدة، وهي اتخاذ التدابير العسكرية المشتركة ضد مصر. ثالثاً: حرص بيزنطة على مصالحها في بلاد الشام، لاسيما مع الممالك الصليبية، أدى كل هذا للحفاوة البيزنطية البالغة بالملك عموري الأول، ملك بيت المقدس، أكثر من لويس السابع، ملك فرنسا.

وهكذا، على الرغم من أن وليم الصوري زار المدينة عام ١١٦٨م، إلا أنه لم يسهب الحديث عن معالمها لاسيما كنيسة آيا صوفيا، كما يتوقع المرء، بل جاءت روايته مقتضبة، ولم تخرج عن وصفه لمراسم استقبال الملك عموري الأول في القسطنطينية، عند ذهابه إليها ثانية معه عام ١١٧١م. وهذا ربما يشير إلى أن زيارة وليم الصوري الأولى إلى المدينة كانت إما قصيرة الأمد أو لم يكن لها برنامجاً ترفيهياً سياحياً معد سلفاً من قبل الإدارة الإمبراطورية بالقسطنطينية، كما كان متبعاً مع السفراء الأجانب الوافدين إليها، وعندما زارها

مع الملك عموري الأول، ملك بيت المقدس، كان ملزماً بتحركــات ســيده فــي المدينة. بيد أن أهم ما فــي روايــة ولــيم الــصوري هــو وصــفه المراســم الإمبراطورية داخل القصر الإمبراطوري البيزنطي في عصر آل كومنينــوس، كشاهد عيان.

وإذا ما انتقلنا إلى أهم الكتاب الصليبيين الذين تناولوا القسطنطينية فــي كتاباتهم، وهم صليبيو الحملة الرابعة، التي غيرت مــسارها مــن مــصر إلــى القسطنطينية، والذين جعلوا القسطنطينية مشاعاً لهم عقب دخولهم إليها، مما أثــر على رؤاهم لها وكتابتهم عنها. فقد أفاض روبرت كلاري وجــونتر الباريــسي وفلهاردوان الحديث عن معالمها الدينية والمدنية، الأمر الذي يحدو بالباحث إلــى التريث أمام هذه الروايات، التي تطرح أسئلة عدة تأتي فــي موضــعها. ولنبــدأ بالحديث عن رواية روبرت كلاري، والتي يميزها عن غيرها أن صاحبها قــدم رواية عن العاصمة البيزنطية أكثر تفصيلاً من غيره من الكتاب الصليبيين أمثال فوشيه الشارتري، وأودو الدويلي، وفلهاردوان، وجونتر الباريسي الــذين كتبــوا بصورة عامة عن القصور والكنائس والأديرة والذخائر المقدســة؛ وهــو فــي المقابل يبدو كما لو كان يقدم لنا تفاصيل "جولة موجهه".[١٠٢] وبالإضافة إلى هــذا كان كلاري من عامة فرسان هذه الحملة، أو بكلمات أخرى كان من أبناء الطبقة الشعبية المشاركة في الحملة، وليس من خاصتهم، حيث عمل تحت لــواء ســيده بطرس داميان Pierre d'Amiens[١٠٣] مما أثر في رؤيته للمدينة.

لقد اهتم روبرت كلاري بوصف المنشآت المدنيــة[١٠٤] ومنهــا القــصور الإمبراطورية الرئيسية في القسطنطينية، مبرزا جمالها الخلاب وثراءها الفاحش لقرائه؛ فيقول عن القصر الكبير أو قصر بوكليون Boukoleon:[١٠٥] "أنــه كــان قصراً غنياً جداً"، ثم يبدأ في وصف القصر على النحو التالي: "كــان فــي هــذا

القصر الذي احتله الماركيز خمسمائة قاعة متصلة بعضها ببعض، ومبنية جميعها بالفسيفساء المذهبة، وفيه ثلاثون كنيسة ما بين صغيرة وكبيرة، تعرف إحداها بالكنيسة المقدسة، وكانت غنية جدا ورائعة..."[١٠٦] وينتقل بعد ذلك إلى وصف الكنيسة المقدسة بقصر بوكليون، مبرزاً جمالها وثرائها الفاحش، وما حوته من الذخائر والمقدسات الدينية.

ويتحدث روبرت كلاري أيضاً عن قصر البلاشيرن، الذي كان يضم بين جوانبه عشرون كنيسة، وما لا يقل عن مائتين أو ثلاثمائة قاعة، متصلة ببعضها البعض، ومصنوعة كلها من الفسيفساء المذهبة. وقد بلغ هذا القصر من الفخامة والروعة حدا يعجز كل فرد عن وصفه، أو أن يروي ثراءه وفخامته. وكان هذا القصر يحوي ثروات باهظة استولى عليها الصليبيون، حيث عثروا على تيجان الأباطرة البيزنطيين السابقين، وعلى حلي ذهبية ثمينة، وأقمشة حريرية غالية؛ كما عثروا على الأثواب الإمبراطورية الغالية والأحجار الكريمة النفيسة، وعلى كثير من الكنوز العظيمة. وأقر روبرت كلاري بأنه لا يستطيع أحد أن يقدر كميات الذهب والفضة الضخمة التي كانت بتلك القصور الإمبراطورية، وفي أماكن أخرى من القسطنطينية.[١٠٧]

وإلى جانب القصور الملكية يتحدث روبرت كلاري عن الهيبودروم،[١٠٨] حيث يقول عنه: "وبناحية أخرى من المدينة منظر عجيب آخر، إذ يوجد على مقربة من قصر بوكليون ساحة فسيحة تسمى بالملعب الإمبراطوري، وتبلغ رمية ونصف رمية قوس طولا، ورمية واحدة عرضا.[١٠٩] وكان يحيط بهذا المكان ثلاثون أو أربعون صفاً من المقاعد، يجلس عليها اليونانيون [البيزنطيون] لمشاهدة اللعب، تعلوها مقصورة كبيرة شديدة الأناقة والفخامة، حيث يجلس الإمبراطور وعلية القوم ونساؤهم، إذا عقدت

حلقات اللعب.[110] فإذا كان هناك طرفان يلعبان في وقت واحد راهن الإمبراطور والإمبراطورة كل منهما الآخر، على أن النصر سيكون في هذا الجانب أو ذاك، وكذلك يفعل جميع من يشاهدون اللعب." ويشير بعد ذلك روبرت كـلاري إلـى ارتفاع أسوار هذا المضمار، وقدرها بخمسة عشر قدما، وعرضها بعشرة أقدام؛ كما قدم وصفا للمناظر المنحوتة على هذه الجدران من رجـال ونـساء وجيـاد وثيران وجمال ودببه وأسود وحيوانات عديدة أخرى، وجميعها قد صنعت مـن النحاس الأحمر، والتي يشير كلاري إلى أنه كانت لها قوة سحرية في الماضـي، إلا أنها بطلت في عهده؛[111]وهذا يشير بدوره إلى اعتقاد البيزنطيين فـي قوتهـا السحرية آنذاك؛ بل إن عبارات كلاري، من ناحية ثانية، تشير إلى أنه ظـن أن هذا السحر كان يمد هذه التماثيل أو التصاوير بـالقوة اللازمـة لتـشارك فـي الألعاب. وتجدر الإشارة إلـى أن المعلومـة الأخيـرة لكـلاري عـن تماثيـل الهيبودروم لا تقدم شيئاً جديداً للمؤرخين، مقارنة بالمعلومات المتوافرة عنها.[112]

ويتحدث روبرت كلاري أيضاً عن بعض التماثيل التـي كانـت تـزين المدينة، ومنها تمثالان لامرأتين مصنوعان من النحـاس، غايـة فـي الروعـة والجمال، كانا يقعان في طرف من أطراف المدينة أمام سوق الصيارفة، شـديد الزحام، ويبلغ ارتفاع الواحد منهما عشرون قدما. وقد كان مكتوبـا علـى أحـد هذين التمثالين، الذي يمد يده صوب الغرب، "سيأتي من الغرب أولئـك الـذين سيستولون على القسطنطينية"، أما يد التمثال الآخر فمبسوطة صـوب مرذولـة ومكتوب عليها "هذا هو المكان الذي سيرمونهم فيه".[113]وهذا المكان الذي يقع فيه هذان التمثالان ويجلس فيه البائعون وأمامهم أكوام من البيزنطـات والأحجـار الكريمة، يتطابق مع ميدان قسطنطين، حيث كـان مقـراً لحوانيـت الـصيارفة وصائغي الفضة.[114]ويشير نيقتاس الخونياتي إلى أن هذا التمثال كان للربة أثينا،

وكان يبلغ ارتفاعه ثلاثون قدما، وتمتد ذراعه اليمنى إلى الجنوب، غير أن الذين لا يعلمون شيئاً مطلقاً عن اتجاهات البوصلة ظنوا أن التمثال كان يشير بذراعه نحو الغرب. وقد حطم السكان هذا التمثال في عام ١٢٠٣م ظناً منهم أنهم بهذا يتجنبون خطر القوات الصليبية المعسكرة هناك.[١١٥]

كما يشير أيضاً إلى تمثال موضوع فوق أحد الأعمدة الرخامية قبالة كنيسة آيا صوفيا، مصنوع من نحاس لإمبراطور يمتطي جواداً نحاسياً كبيراً، ومثبتاً على قاعدة مسطحة مساحتها خمسة عشر قدما طولاً وعرضاً أيضاً، مثبتة بدورها فوق عمود يواجه كنيسة آيا صوفيا، مصنوع من الرخام المكفت بالنحاس الأصفر، ومثبت بأشرطة قوية من الحديد، يبلغ قطره قدر استدارة أذرع ثلاثة رجال، وارتفاعه ثلاثمائة قدم. وكان يشير تمثال ذلك الإمبراطور بإصبعه نحو بلاد المسلمين، ونقشت عليه كتابة مفادها أن ذلك الإمبراطور أقسم ألا يهادن المسلمين أبداً، كما أمسك بالأخرى كرة من الذهب عليها صليب. وقد أُخْبِر روبرت كلاري أن هذا الإمبراطور هو الإمبراطور هرقل (٦١٠-٦٤١م).[١١٦] وتعتقد المؤرخة الانجليزية روث ماكريديس أن الخطأ الذي انزلق إليه كلاري في نسبته هذا التمثال لهرقل، مثله مثل بعض الرحالة والجغرافيين المسلمين، الذين زاروا المدينة، ويذكرون نفس صفات هذا التمثال غير أنهم ينسبونه إلى قسطنطين[١١٧] وليس هرقل،[١١٨] إنما راجع إلى البيزنطيين أنفسهم وإلى معلوماتهم المغلوطة؛ وأن هذا التمثال هو للإمبراطور جستنيان.[١١٩] وهكذا، فإن الرواية التي زُوِدَ بها كلاري في القسطنطينية عن هذا التمثال غير صحيحة.

أما عن الأعمدة التي كانت تزين المدينة فقد شاهد روبرت كلاري بعضها، وكتب عنها بإعجاب، حيث اعتبرها عجيبة كبيرة. ومن هذه الأعمدة التي رآها عمود كان يقع قبالة كنيسة آيا صوفيا مصنوع من الرخام المكفت

بالنحاس الأصفر، والمربوط بأشرطة قوية من الحديد، ويبلغ قطره قدر اســتدارة أذرع ثلاثة رجال وارتفاعه ثلاثمائة قدم. وكان يقع أعلاه قاعدة منبــسطة مــن الحجر طولها خمسة عشر قدما وكذلك كان عرضها؛ ومنــصب فوقهــا تمثــال جستنيان، السابق الإشارة إليه.[120] كما أشار روبــرت كــلاري إلــى عمــودين آخرين، أطلق عليهما اسم أعمدة النساك. وقد كان قطر كل منهما امتــداد ثلاثــة أذرع رجال، ولا يقل ارتفاع كل منهما عن ثلاثمائة قدم،[121] أو ثلاثمائة وســتون قدماً.[122] وقد اعتاد النساك أن يعيشوا فوق قمة هذين العمــودين فــي قلايــات صغيرة موجودة بها، وبالعمودين أبواب يستطيع المرء الصعود من خلالها إلــى القمة. وقد نُحت على العمودين بعض المناظر التي يدعي روبرت كلاري، نقــلاً عن البيزنطيين، أنها تشير إلى الأحداث التي وقعت بالقسطنطينية علــى مــدى تاريخها، والتي لم يستطع أهلها فهمها، وإذ ذاك كان الناس يهرعون إلى هنــاك ويمعنون النظر فيما يرون، فيطالعون ويفهمون لأول مرة خبر ما جرى، ومنهــا غزو الصليبيين لها عام ١٢٠٤م؛ بل يذهب إلى القول أنه كتــب علــى هــذين العمودين عبارة تقول "إن قوماً قصار الشعور ذوو سيوف حديدية سيأتون مــن الغرب لغزو القسطنطينية".[123] وهذان العمودان هما عمود ثيودوسيوس الكبيــر، الذي يقع في ميدان ثيودوسيوس (ميدان الثيرانForum Tauri)،[124] والآخــر هــو عمود أركاديوس، الذي يقع في ميدان اكسروفولوس Xeropholos.[125]

وتجدر الإشارة هنا إلى أن روبرت كلاري يشير في موضع آخــر مــن كتابه إلى حادثة مقتل مُرزوفليوس Murzuphlus رمياً مــن فــوق أحــد هــذين العمودين، حيث اقترح دوج البندقية عقاب مُرزوفليوس بهذه الطريقــة، والتــي وافق عليها كل البارونات.[126] وبهذا يتفق روبرت كلاري مــع فلهــاردوان فــي روايتيهما عن مقتل مُرزوفليوس،[127] الذي يشير إليه جونتر الباريسي أيضاً. وفي

الوقت الذي يسهب روبرت كلاري في الحديث عن النقوش الموجودة على بـــدن العمود، يشير فلهاردوان إليها فقط، مع تفسيره بأن إحدى النبوءات القديمة كانت تقول أن أحد أباطرة القسطنطينية سيلقى حتفه من فوق أحد هذه الأعمـــدة، وقـــد تحققت هذه النبوءة بموت مُرزوفليوس.[١٢٨]

وأخيراً يسجل روبرت كلاري مـــشاهداته عـــن بوابـــات القـــسطنطينية ورؤيته الخاصـــة لهـــا، وبالتحديـــد لبـــوابتين مـــن بواباتهـــا وهمـــا البوابـــة الذهبية،[١٢٩] وبوابة أَطلَق عليها اسم العباءة الذهبية. ويشير روبرت كلاري إلى أن البوابة الأولى كانت مخصصة للأغراض الإمبراطورية، أي لدخول أو خـــروج الإمبراطور لاسيما إذا كان خارجا للحرب. وإذا عاد من حربه خرجت جمـــوع الشعب لاستقباله، وحينئذ تفتح البوابة لتدخل منها العربة الإمبراطورية المذهبـــة، ذات العجلات الأربع، حيث زودت بعرش للإمبراطور يحوطه أربعـــة أعمـــدة تحمل مظلة يستظل بها العرش، الذي يبدو وكأنه صنع كله من الذهب، ويجلـــس الإمبراطور على هذا العرش لابساً تاجه الإمبراطوري.[١٣٠] ولم يفـــت روبـــرت كلاري أن يسجل أن هذه البوابة كان يقع عليها تمثالين نحاسين لاثنين من الفيلة، يتسمان بالضخامة وعجب المنظر.[١٣١]

أما البوابة الثانية، بوابة العباءة الذهبية، فيقول أنها كانت تقع عليها كـــرة أرضية ذهبية عليها رقية يقول البيزنطيون إنه لن تقع صاعقة بالمدينة طالما هي قائمة في مكانها. وعلى هذه الكرة أيقونة من النحاس قد تدثرت بعبـــاءة ذهبيـــة، وقد مدت ذراعيها نحو الأمام، وكتب عليها: "من يعيش في القسطنطينية عامـــاً، يستطيع أن تكون له عباءة ذهبية كالتي أرتديها".[١٣٢]

أما عن المنشآت الدينية فلم يتحدث روبرت كلاري سوى عن أربع فقط من الكنائس بالقسطنطينية وهى الكنيسة المقدسة بقصر البوكليون، وكنيـــسة آيـــا

صوفيا، وكنيسة الرسل المقدسين، وكنيسة القديسة مريم، مركزا على إبراز ثراء وفخامة كل هذه الكنائس، وما حوته من مقدسات وذخائر دينية، تهفو إليها قلوب المسيحيين الأتقياء. ويبدأ روبرت كلاري بوصف الكنيسة المقدسة حيث يقول عنها أنها: "... كانت غنية جداً ورائعة، حتى إنه لم يكن بها من مفصلة باب أو شريط مما يصنع عادة من الحديد إلا وقد صب كله من الفضة، ولم يكن بها من عمود لم يصنع من الشب أو الرخام السماقي أو غير ذلك من الأحجار الكريمة الأخرى، وكانت أرض هذه الكنيسة من الرخام الأبيض الذي يحاكي البللور في نعومة الملمس وصفاء اللون، وبلغت تلك الكنيسة من فاحش الثراء والروعة حداً يعجز أي امرئ عن تصويرها لك بما حوت من جمال وفخامة".[١٣٣]

وهنا ينتقل روبرت كلاري إلى وصف الذخائر الدينية المقدسة في هذه الكنيسة، حيث يقول: "...وتضم بين جنباتها كثيراً من الآثار المقدسة الجليلة، حتى لقد عثر البعض على قطعتين من صليب الصلبوت في حجم ساق الرجل، ويبلغ طولهما ثلاثة أقدام، كذلك وجد بها بعض حديد الحربة التي ضرب بها سيدنا في جنبه، كما وجدوا مسمارين من المسامير التي دقت بها كفاه وقدماه، وعثر أحدهم على قارورة بلورية فيها بعضا من دمه، ووجد غيره في هذه الكنيسة القميص الذي كان يرتديه، والذي نزعوه عنه حينما ساقوه إلى جبل كَلفاري Calvary؛ كما عثروا على التاج المبارك الذي توجوه به، والذي صنع من عيدان القصب، ذات الشوك القاطع، كأنه أسنة الخناجر.

ووجد أحدهم بها جزءاً من ثوب سيدتنا العذراء، ورأس سيدي القديس يوحنا المعمدان، وكثيراً غير هذا من المخلفات والآثار المقدسة الكريمة، التي لا أستطيع تعدادها لك وإخبارك بها في صدق تام.

على أنه كان لا يزال بهذه الكنيسة أثر مقدس آخر...وهو عبارة عن وعاءين ثمينين من الذهب معلقين في وسطها ويتدليان من سلسلتين من الفضة الثقيلة، وفي أحد هذين الوعاءين قطعة من الآجر، وفي الأخرى قطعة من القماش...".[١٣٤] وينتقل روبرت كلاري ليقص على القارئ مصدر هذين الأثرين المقدسين. وكان بهذه الكنيسة أثر آخر هو أيقونة للقديس ديمتريوس، المرسومة على لوحة، وكانت هذه الصورة تنضح بالزيت الكثير، الذي لم يكن في الاستطاعة محوه بالسرعة التي يتدفق بها من الصورة.[١٣٥]

وجدير بالذكر أن كلاري يعود إلى موضوع الذخائر المقدسة ثانية عند حديثه عن كنيسة الرسل المقدسين عندما يقول: " ...وهي تضم بين جوانبها رفات سبعة من الرسل؛ وبها أيضا العمود الرخامي الذي أوثقوا إليه صليب سيدنا المسيح قبل رفعه على الصليب. ويقال إنه في هذا المكان يرقد الإمبراطور قسطنطين وهيلينا وكثير من الأباطرة سواهما".[١٣٦]

وينتقل روبرت كلاري إلى الحديث عن كاتدرائية آيا صوفيا، ويصفها على النحو التالي: "سانت صوفيا يقصد بها في اليونانية الثالوث المقدس في الفرنسية..."[١٣٧] وهنا يخطيء روبرت كلاري في هذا التفسير[١٣٨] لأن الاسم يتكون من كلمتين يونانيتين الأولى هجياα(/για وينطقها البعض آيا إنما تعني "المقدسة" في حالة وقوعها صفة، و"القديسة" في حالة وقوعها اسما، أما صوفيا σοφι/α فتعني "الحكمة".[١٣٩] ومن ثم فتعرف الكنيسة باسم كنيسة الحكمة المقدسة، ويطلق عليها البعض مجازاً اسم "كنيسة القديسة صوفيا St. Sophia.

ويضيف روبرت كلاري أنها مستديرة البناء وبها قباب دائرة حولها محمولة على أعمدة ضخمة رائعة جدا، وليس بها من عمود إلا وهو مصنوع من الشب أو من الرخام السماقي أو غير ذلك من الأحجار الثمينة،[١٤٠] وليس بها

عمود إلا وله قدرة على الشفاء. وليس بهذه الكنيسة من باب أو مفصلة أو شريط أو شيء آخر مما يصنع من الحديد إلا وهو مصنوع كله من الفضة. ويشير أيضاً إلى أن مذبح الكنيسة الرئيسي ثمين جداً لا يقدر بمال وإن غلا، لأن مائدته–التي أمر أحد الأباطرة بصنعها– كانت من الذهب والأحجار النفيسة المفتته المخلوطة ببعضها البعض؛ ويبلغ طول هذه المائدة أربعة عشر قدما. وتوجد حول المذبح أعمدة فضية تسند عرشا قائما على الهيكل وهو أشبه ببرج كنيسة مستدق الطرف، وقد صب كله من الفضة الخالصة مما يعجز أي فرد عن تقدير المال الذي يقدر به. أما المكان الذي يرتلون فيه الإنجيل فكان رائعاً جداً، بالغ الجمال، حتى أنه لا يمكن وصف كيف صنع.[١٤١]

ويضيف روبرت كلاري أنه كان بكنيسة آيا صوفيا من الداخل مائة شمعدان، ليس فيها واحد إلا وهو معلق إلى سلسلة فضية ضخمة تبلغ قطر ذراع الرجل، ولكل شمعدان خمسة وعشرون مصباحا أو أكثر، ولا يقل ثمن الشمعدان عن مائتي مارك فضي. ويشير أيضا إلى أنه علقت على حلقة باب الكنيسة الأعظم، المصنوع كله من الفضة، أنبوبة لا يعرف أحد كون مادتها، في حجم مزمار الرعاة، له قدرة على شفاء المرضي، وتخليصهم من الآلام.[١٤٢]

أما كنيسة الرسل المقدسين فقد أشار روبرت كلاري إلى أنها تقع في أحد أحياء المدينة، وأن التسمية كانت تعني كنيسة الرسل السبعة، وهو خطأ يحسب عليه؛[١٤٣]ناجم عن سوء سمعه ومن ثم فهمه للكلمة اليونانية *panseptoi* ، والتي تشبه في سماعها الرقم سبعه *sept* في الفرنسية.[١٤٤]ويسترسل حديثه عنها بقوله: "...يقال إنها أعظم وأروع من كنيسة القديسة صوفيا، ولا يستطيع أحد أن يقدر لك ثروة هذه الكنيسة أو يصور لك فخامتها"؛ ثم ينتقل لوصف الذخائر المقدسة بها والإشارة إلى قبري الإمبراطور قسطنطين الكبير وأمه هيلينا.[١٤٥]

ويختم روبرت كلاري حديثه عن كنائس المدينة بحديثه المقتضب عـــن كنيسة القديسة مريم، وكانت واحدة من العجائب على حـــد تعبيـــره. ويقـــول أن كنيسة القديسة مريم، قديسة البلاشيرن، كانت تحتفظ بالحنوط الذي كفن به السيد المسيح، والتي لا يعرفون أين ذهبت عقب دخول الصليبيين للمدينة.[١٤٦]

وتعتبر واحدة من محاسن روايته تكمن في اهتمامـــه، دون غيـــره مـــن الكتاب الصليبيين، بالإشارة إلى الأيقونات، مثـــل أيقونـــة القـــديس ديمتريـــوس وأيقونات السيدة العذراء؛ الأمر الذي يعكس بدوره إحدى اهتمامات البيـــزنطيين ومعتقداتهم.[١٤٧]

وهكذا أنهى روبرت كلاري حديثـــه عـــن أربـــع فقـــط مـــن كنـــائس القسطنطينية، غير أنه أشار إلى أحد الأديرة، دون ذكر اسمه، ولـــم يبـــرز مـــن معالم ذلك الدير غير أن الإمبراطور مانويل كومنينوس دفن فيه؛ وأنـــه يحـــوي اللوحة الرخامية التـــي أرقـــدوا عليهـــا المـــسيح حينمـــا أنزلـــوه مـــن علـــى الصليب؛[١٤٨] وهذا الدير هو دير المسيح البانتوقراتور.[١٤٩]

ومن الملاحظ هنا على روبرت كلاري أنه لم يسهب في وصف القصور الإمبراطورية، بل كل ما أكد عليه هو ثراءها الفاحش والكنوز والثروات التـــي تحويها. وهذا يدفع الباحث لأن يضع علامة استفهام حول عدم تفصيله الحـــديث عنها. لكن ربما تكمن الإجابة في أن روبرت كلاري كواحد من عامة الفرســـان وليس خاصتهم لم يكن مسموحاً له بزيارة القصور الإمبراطورية، التي اســـتولى عليها السادة، وربما لو كان سيده بطرس داميان قد اســـتولى علـــى أحـــد هـــذه القصور لكان روبرت قد أسهب في وصفها، هذا من ناحية. ومن ناحية أخـــرى، سنجد أنه يسهب في وصف بعض المنشآت المدنية العامـــة، كبوابـــات المدينـــة والأعمدة والتماثيل، وذلك لأن رؤيتها كان مباحاً لكل من يتجول بالمدينة. كمـــا

أن النزعة الدينية عند روبرت كلاري، التي تبدو في حرصه الشديد على وصف الذخائر المقدسة الموجودة بالكنائس، تشير إلى الوازع الديني عنده، كواحد من العامة؛ خاصة وأنه أخذ معه بعض الذخائر المقدسة من القسطنطينية عند عودته إلى فرنسا.[١٥٠] وهناك افتراض آخر ألا وهو محاولة فرسان الحملة الصليبية الرابعة، ممن كتبوا عنها، إبراز إلى أي مدى تمكن الصليبيون من فتح مدينة المال والجمال، وتحويل كنيستها المارقة إلى تابع للكنيسة الكاثوليكية في روما، أي للبابوية.[١٥١] وبهذا لا يكون البابا محقا في توقيع قرار الحرمان على زعماء هذه الحملة، جزاء تحويل مسارها وغزوهم للقسطنطينية بدلا من غزو مصر.[١٥٢]

بيد أن هناك عبارة وردت عند روبرت كلاري يفهم منها أنه لم يـر الكنائس الأربع كلها، وذلك عندما يقول عن كنيسة الرسل المقدسين:" ...يُقال إنها أعظم وأروع من كنيسة القديسة صوفيا..."، وهذا يفيد إما أنه لم يزر كنيسة الرسل المقدسين، أو أنه رآها بنفسه وسأل المرشدين المصاحبين له عنها من اللاتين المقيمين بها،[١٥٣] فأجابوه بتلك الرواية المقتضبة المأخوذة بالطبع عن البيزنطيين؛ على الرغم من أنها تلي كنيسة آيا صوفيا في الأهمية.[١٥٤] وهذا الأمر ينطبق على كنيسة القديسة مريم أيضاً. وعلى العكس نجده يسهب في الحديث عن كنيسة آيا صوفيا، مما يفيد أنه رآها بنفسه وتفحصها، وذلك ببساطة شديدة لأنها أبرز وأبهى معلم من معالم القسطنطينية، ولا يمكن لأي زائر جاء إلى المدينة أن يمضي دون زيارتها. ويبدو أن الاحتمال الأخير هو الصحيح، لأن كلمات كلاري في أكثر من موضع تشير إلى أنه اعتمد على رواية البيزنطيين (اليونانيين) في كثير من معلوماته، حتى لتبدو روايته بيزنطية (يونانية) الطابع.[١٥٥] وهذه النقطة الأخيرة تشير إلى وجود أدلاء أو مرشدين في

القسطنطينية، سواء من اللاتين المقيمين بها أو البيزنطيين، لاصطحاب الرحالة أو الزائرين في جولتهم بها، حيث نجد الكاتب المجهول من شمال تَّرراجون، الذي كتب وصفه للقسطنطينية آواخر القرن الحادي عشر الميلادي، يعتمد على رواية البيزنطيين في معلوماته عن معالم المدينة، التي ذهب إليها ليدرس اليونانية ويجمع الكتب؛ لذلك جاءت روايته متشابهه مع رواية روبرت كلاري،[156] ولا يَفْرقها عنها سوى أنها تخلو من العداء للبيزنطيين.[157] أما الأديرة فلم يتحدث كلاري عنها، اللهم إلا إشارته المقتضبة لأحد أديرة المدينة، ليبرز في روايته أن الإمبراطور مانويل، نصير اللاتين، مدفون به؛ على الرغم من أن المدينة وضواحيها كانت تزخر بمئات الأديرة والكنائس.[158] فيذكر ابن رسته[159] (القرن ١٠م) أن تعداد ما فيها من الكنائس أربع وعشرون (ألف) كنيسة وكنيسة أخرى؛ ويضيف ابن بطوطة [160] (القرن ١٤م) أن كنائس القسطنطينية لا تحصى. ويذكر ابن الفقيه الهمذاني[161] (القرن٩-١٠م) أن في القسطنطينية "مائتان وعشرون دير للراهبات". ويؤكد هذه الكثرة العددية روبرت كلاري[162] بقوله: "...والظن عندي أنه لا يوجد أحد ما على وجه البسيطة يستطيع أن يعدد جميع أديرة المدينة، لكثرتها وكثرة من بها من الرهبان والراهبات، إلى جانب الكنائس الأخرى التي في خارجها؛ وقد قدر من بها من القساوسة والرهبان وغيرهم بثلاثين ألفاً"؛ وهو ما يؤكده فلهاردوان أيضاً.[163] وهكذا، من المحتمل أن هذه الكثرة العددية للكنائس والأديرة إلى درجة يصعب معها إحصاؤها، تعتبر واحدة من أسباب اقتضاب رواية روبرت كلاري عنها. ويمكن إضافة أن افتقار الأديرة إلى البهاء والجمال الموجود في الكنائس العامة كان سبباً في عدم إقبال المؤرخين الصليبيين على الكتابة عنها بالتفصيل، لاسيما وأنهم جاءوا إليها غزاة وليس حجاجاً. وأخيراً من المحتمل أن استيلاء السادة النبلاء على أغنى القصور

وأثرى الكنائس والأديرة الواقعة في القسطنطينية دون الفقراء من عامة فرسان الحملة،[١٦٤] كان سبباً في خروج رواية روبرت كلاري بهذا الشكل، واكتفائه بتسجيل ما سمعه أو رآه عن هذه الكنائس والأديرة، التي آلت إلى سادته من قادة الحملة.

وأخيراً ينبغي الإقرار بأن رواية كلاري عن معالم القسطنطينية تعتبر الأكثر تفصيلاً من غيره من الكتاب الصليبيين، على الرغم من بعض الأخطاء التي انزلق إليها كلاري واعتماده على روايات شفهية بيزنطية في كثير من الأحيان، جعلت وصفه للمدينة أشبه برواية مشتركة بينه وبين أهل المدينة.

على أية حال، ننتقل الآن إلى رواية جونتر الباريسي، كأحد معاصري الحملة الصليبية الرابعة،[١٦٥] لنتفحص ما كتبه عن المدينة. كان جونتر الباريسي أحد الرهبان الألمان البندكتيين من دير باريس بالألزاس،[١٦٦] ولد نحو عام ١١٥٠م؛ وقد وضع أربعة أعمال باللاتينية،[١٦٧] ثلاثة منها تاريخية والرابع ديني.[١٦٨] ومن هذه الكتب الأربعة ترك جونتر الباريسي كتاباً عن الغزو الصليبي لمدينة القسطنطينية، انتهى من كتابة الفصول الأربعة والعشرين الأولى منه قبل عام ١٢٠٥م، أما الفصل الخامس والعشرون فيبدو أنه كتب وأضيف إلى كتابه بعد ذلك التاريخ إما في عام ١٢٠٧م أو ١٢٠٨م.[١٦٩] ولا نعرف على وجه التحديد لماذا أقدم جونتر على كتابة هذا المصنف التاريخي. غير أنه من المحتمل أنه كتبه بتكليف من مارتين Abbot Martin،[١٧٠] رئيس دير باريس، الذي شارك الصليبيين في حملتهم،[١٧١] وكان شاهد عيان على أفعالهم، ولا شك أنه كان المصدر الشفهي لجونتر الباريسي عن هذا الحدث، والبطل أيضاً في هذا العمل نصف الملحمي.[١٧٢] ويبدو أن هدف مارتين من تكليف جونتر بوضع هذا الكتاب كان لتبرير مسألة قيامه بسرقة آثار القديسين والذخائر المقدسة من

كنائس بيزنطية إبان الغزو الصليبي للمدينة، وهي العملية التي تتنافى مع وضعه الديني؛ حيث نلمس من عبارات جونتر محاولاته تبرير فعلـة أبـوت مـارتين واعتبار أن غرضه مما قام به كان غرضا نبيلا وساميا،[١٧٣] وأنه لم يفكـر فـي لمس الغنائم غير الدينية بيديه المقدستين؛[١٧٤] خاصـة وأن البابـا أدان عمليـات النهب التي قام بها البنادقة والصليبيون لكنائس القسطنطينية.[١٧٥] لقـد اعتـرف مارتين صراحة في مستهل الفصل التاسع عشر من كتاب جونتر أنه "بعد قيـام الصليبيين بعمليات النهب والسلب في المدينة بسرعة، على أنها غنيمة تخـصهم، بدأ يفكر في كيفية الحصول على ما يخصه من الغنيمة، خشية أن يخرج خـالي الوفاض، في حين صار كل فرد ثرياً، ومن ثم عزم على إطلاق يديه المقدستين للسلب. وهكذا، بدأ يخطط في كيفية الحصول على نصيبه من آثـار القديـسين، التي كان يعلم أنها كانت هناك بكمية عظيمة".[١٧٦] ويبدو أن هذا العمل الذي قام به أبوت مارتين أبهج اللاتين عامة، حيث نستشف من عبارات أوتـو مـن سـان بلازين St. Blasien ، نحو عام ١٢٠٩م، ما يؤكد ذلك، حيث يقول: "...وهكـذا، حُملت ثروات اليونان إلى أراض غربية عديدة، خاصة حُلي تلك الكنيسة الكبيرة التي بناها جستنيان منذ زمن، على شرف آيا صوفيا، وشُحنت بكميات عظيمـة من الذهب وآثار القديسين، التي تبز بها هذه المدينة الشرق كله. وحملـت هـذه الذخائر بدرجة كبيرة إلى البندقية، وزخرت المناطق والمـدن الأخـرى بهـذه الرفات والذخائر بدرجة عظيمة. وبالإضافة إلى هذا هناك رئيس ديـر بنـدكتي يدعى مارتين، من دير باريس، الذي يقع في الألزاس، ذهب في هـذه الحملـة، وشارك في العصف بالقسطنطينية، وحمل معه في عودته إلى وطنه جزءاً كبيراً جداً من الصليب واهب الحياة وآثار سيدنا المسيح الأخرى، علاوة على الكثيـر من رفات القديسين، المزينة بالذهب، والفضة، والأحجار الكريمة..."[١٧٧]

على أية حال، يشير جونتر الباريسي إلى أن مدينة القسطنطينية مدينة عظيمة ورائعة،[178] وبطبيعة الحال يؤكد على الثراء الذي كانت تتمتع به، حيث يذكر أن الصليبيين، على الرغم من أنه كان محرماً عليهم نهب المدينة قبل إتمام الاستيلاء عليها، تحت تهديد عقوبة الموت،[179] قد اكتشفوا هنا وهناك ثروة عظيمة جداً من الذهب والفضة، وكثيراً من الملابس والمجوهرات الرائعة، وكثيراً جداً من البضائع التجارية القيمة، وكميات عظيمة جداً من أدوات الطعام، والسلع المختلفة الأنواع التي كانت تزخر بها المنازل. ومن ثم تحول كل فرد من الصليبيين ليصبح ثرياً بين عشية وغداها.[180]

ويشير جونتر الباريسي أيضاً إلى طبوغرافية المدينة، حيث يقول أنها مثلثة الشكل، يمتد كل جانب من جوانبها نحو ميل كبير أو أكثر.[181] وعلى الرغم من اتفاقه مع وليم الصوري وأودو الدويلي حول شكل المدينة المثلث، إلا أنه أضاف معلومة مهمة حول طول كل ضلع من أضلاع ذلك المثلث الجغرافي. بيد أن المعلومات التي يقدمها جونتر الباريسي ذات القيمة التاريخية المهمة عن المدينة إنما تتمثل في ثلاثة أشياء رئيسية هي: حديثه عن أسوار المدينة، ثم حديثه عن الأعمدة التي تزينها، وأخيراً حديثه عن ذخائرها الدينية المقدسة؛ والشيء الأخير يكاد ينفرد بتفاصيله جونتر الباريسي عن غيره.

وفيما يتعلق بالمنشآت العامة، فقد تحدث جونتر الباريسي عن أسوار المدينة[182] وأبراجها فقد أشار إلى أن الجانب البري من القسطنطينية متصل بسور هائل وحائط قوي، له أبراج منيعة عالية على طول محيط المدينة، وكل برج قريب من الآخر لدرجة أنه يمكن لصبي ذو سبع سنوات أن يرمي تفاحة من برج لأخر.[183] أما جانب الهلليسبونيت، ويقصد البحري، الذي يفصل الجانب الأسيوي عن الأوربي، فهناك أسوار شاهقة ذات سمك مدهش، مزودة بأبراج

قريبة من بعضها البعض، وقد ارتفعت إلى مثل هذا الارتفاع الشاهق حتى يـدب الرعب في كل من يلقي بنظره إلى قمتها.[١٨٤] وهنا يحسب لجونتر ملاحظته الذكية حول سُمك الأسوار البحرية، والتي كانت تتطلب هذا السُمك لخروج قواعدها من شاطئ الدردنيل مباشرة، وبهذا تتمكن من مقاومة ملوحة مياه البحر؛ أما عن ارتفاع الأسوار الشاهق وقرب الأبراج من بعضها البعض، فقد كان شيئا يدهش كل من يمر بجوار المدينة أو يدخلها.

ومن معالم القسطنطينية الأخرى التي سجلها جونتر، نقلا عن مارتين، مشاهداته وملاحظاته عن الأعمدة التي كانت تزين المدينة، حيث يقول عن عمود ثيودوسيوس الكبير: "هناك شيء يستحق القول عن ذلك الهرم،[١٨٥] الذي أُلقي من فوقه ذلك الرجل،[١٨٦] والذي يطلق عليه الكثيرون مسمى عمود. وقد شيد من الأحجار الضخمة المرتبطة بشدة مع حديد متشابك؛ ويرتفع من قاعدة سميكة جداً، ومستدق بشكل تدريجي إلى نقطة على ارتفاع هائل؛ ويذكرون (أي البيزنطيون) أن أحد النساك كان مختبئا على قمته..."[١٨٧] وهكذا، إذا كان جونتر قد اتفق مع روبرت كلاري وفلهاردوان في حديثهما عن عمود ثيودوسيوس، إلا أن جونتر وكلاري قدما معلومات تكمل بعضها البعض، ولم يلتقيا سوى عند حديثهما عن المنحوتات التي صورت على العمود، وما دار حولها من أساطير ومعتقدات عند البيزنطيين. بيد أن جونتر يضيف على رواية كلاري في هذا الموضع أن البيزنطيين بعد أن قارنوا ما على العمود من أحداث مصورة وبين ما وقع لهم، وأدركوا أن المنحوتات الموجودة على العمود إنما تشير إلى الغزو الصليبي للمدينة، قاموا بتحطيم هذه الصور المنحوته على العمودين بالأحجار والمطارق الحديدية، وشوهوها بدرجة عظيمة، معتقدين أنهم بهذه الطريقة يردون على الصليبيين

طالع الشؤم.[188]

أما عن المعالم الدينية في القسطنطينية فقد أشار جونتر الباريسي إلى إحدى كنائس القسطنطينية، دون أن يذكر اسمها، بل أشار إلى أنها كانت كنيسة مبجلة بسبب أن أم الإمبراطور مانويل كومنينوس (١١٤٣-١١٨٠م) اتخذت قبراً رائعاً فيها؛ كما أن البيزنطيين قد حفظوا فيها كنزاً كبيراً من المال، جمعوه من الريف المحيط بها، وحفظوا بها آثاراً ثمينة أحضرها البيزنطيون من الكنائس والأديرة المجاورة إلى هذه الكنيسة؛[189] وهذه الكنيسة هي كنيسة دير المسيح البانتوقراتور.[190]

وأخيرا نأتي إلى أهم ما سجله جونتر الباريسي عن القسطنطينية وهو مكانتها الدينية العالية بين المسيحيين، نظراً لما حوته من الآثار المقدسة ورفات القديسين، التي قال عنها مارتين أنها كانت هناك بكميات عظيمة.[191] ويقدم جونتر الباريسي تقريراً فريداً بأهم ذخائر المدينة المقدسة ورفات القديسين، التي كانوا يعتقدون فيها، ومن أهم هذه الآثار المقدسة والذخائر الدينية بقايا دماء للسيد المسيح محفوظة في وعاء مقدس، وأجزاء خشبية من الصليب المقدس، الذي صلب عليه السيد المسيح، وجزء معتبر من جمجمة القديس يوحنا المعمدان، وذراع للقديس جيمس الرسول، وأثار للشهيد كريستوفر، والشهيد جورج، والشهيد ثيودور، وجزء من المنضدة التي تناول عليها السيد المسيح العشاء الأخير، وأثر من المكان الذي أسر فيه السيد المسيح، وغير ذلك من الآثار الدينية المقدسة، والتي كانت محفوظة جميعها في كنيسة دير المسيح البانتوقراتور.[192] وهكذا يمكن القول أن جونتر الباريسي انفرد بتقديم معلومات قيمة دون غيرة عن أسوار القسطنطينية، وعن عمود ثيودوسيوس، وبعض الإشارات إلى كنيسة دير المسيح البانتوقراتور، وأخيراً خصص فصلاً من كتابه

للحديث عن الآثار المقدسة والذخائر الدينية التي كانت المدينة مكتظة بها، والتي يمكن القول أن الذين اهتموا بها في المقام الأول رجال الدين المصاحبين للحملة الصليبية الرابعة أكثر من الفرسان والنبلاء، اللذين كان جلّ همهم مال القسطنطينية وذهبها.

وعلى عكس روايتيّ روبرت كلاري وجونتر الباريسي، نجد أن رواية فلهاردوان لم تقدم سوى القليل عن المدينة، بل لم تضف أكثر من مجرد إشارات فقط، يلفها الاعتراف بثراء وجمال المدينة؛[١٩٣] وهذا عكس ما كان متوقعا منه كفارس ومؤرخ وشاهد عيان على أحداث الحملة الصليبية الرابعة أوتي الفرصة لدخول المدينة. ويستشف من رواية فلهاردوان أن الصليبيين كانوا مندهشين من أسوار المدينة العالية، وأبراجها الشاهقة القوية، التي تحيط بها من كل الجوانب؛ كما كانوا في غاية الإعجاب من قصورها الثرية، وكنائسها الرائعة، التي يصعب إحصاؤها إلا لمن يراها بنفسه. وخلاصة القول أن القسطنطينية كانت في أعين الصليبيين سيدة المدن آنذاك، لم يروا جمالاً يوازي جمالها منذ خُلق العالم.[١٩٤]

وتتأكد دهشة الصليبيين من شدة ثراء قصور الأباطرة البيزنطيين عندما يروي فلهاردوان إلى أي مدى أعجبوا بالقصر الإمبراطوري الواقع قبالة القسطنطينية على الشاطئ الغربي لآسيا الصغرى، عند خلقدونية، والذي كان واحداً من قصور الإمبراطور الكسيوس الرابع، ويقول عنه "كان القصر من أجمل وأروع ما يمكن أن تراه العين، حوى من البهجة ما قد يتمناه المرء، أو أنه قد يكون قصراً لأمير من الأمراء".[١٩٥]

وقد أشار فلهاردوان أيضاً إلى القصور الإمبراطورية الرئيسية في القسطنطينية، قصر بوكليون الإمبراطوري، وقصر البلاشيرن. غير أنه لم يسهب الحديث عنهما، واكتفى بالإشارة إلى حجم الثراء الذي كانا عليه، حيث

يقول: "ركب المركيز بونيفاس دو مونتفرات وسار بطول الساحل حتى وصل إلى قصر بوكليون، الذي استسلم من فيه له...وإن المرء ليعجز عن وصف ما ضمه هذا القصر من ثروة هائلة، بلغت من ضخامتها حداً جاوزت معه الحصر وفاقت العدد". وعن قصر البلاشيرن يقول: "استسلم قصر البلاشيرن لهنري أخي بلدوين كونت الفلاندرز. وعثر في هذا القصر أيضاً على ثروة لا تقل في ضخامتها عن تلك التي عثر عليها في قصر بوكليون..."[١٩٦]

وإلى جانب هذا يشير فلهاردوان دون غيره من الكتاب الصليبيين محل البحث إلى الحي اليهودي بالقسطنطينية المسمى استانور Estanor،[١٩٧]وكيف كان بالغ الروعة، وافر الثراء وكأنه مدينة صغيرة.[١٩٨]

ويتميز فلهاردوان أنه ذكر السلسلة[١٩٩] التي كانت تسد فم خليج القسطنطينية، ممتدة من ميناء القسطنطينية حتى برج غلاطيا، لتمنع السفن الغريبة من المرور عبر البسفور إلا بإذن من حراس برج غلاطيا. ولهذا كان الصليبيون حريصون كل الحرص على الاستيلاء على البرج والسلسلة حتى يتجنبوا الهلاك على أيدي البيزنطيين.[٢٠٠]

وإذا كان وليم الصوري قد أشار إلى الذخائر الدينية المقدسة، وزودنا جونتر الباريسي، دون غيره بتفاصيلها، والمحفوظة في القصور الإمبراطورية وكنائس وأديرة المدينة، فإن فلهاردوان لم يفته الإشارة إلى هذه الكنوز الدينية أيضاً، حيث قال عنها: "ولست أراني في حاجة إلى الكلام عما بها من الآثار المقدسة، فقد كان بها يومذاك ما يوزاي الذي من هذه المخلفات الدينية في بقية العالم منها كلها".[٢٠١]

ومن اللافت للنظر أن فلهاردوان لم يصف كنيسة آيا صوفيا، وهي أشهر معلم ديني في القسطنطينية، غير أنه أشار إلى أن تتويج الأباطرة كان يتم

فيها، وفق التقليد البيزنطي، عندما ذكر تتويج مُرزفليوس إمبراطــوراً بيزنطيــاً فيها.[٢٠٢]

وأخيراً يشير فلهاردوان إلى أحد الأعمدة الرخامية الشاهقة التي كانــت تقع في وسط مدينة القسطنطينية، وهو عمود ثيودوسيوس، ويقول عنه: "أنه مــن أطول وأحسن الأعمدة التي رأتها العين". وكان محفوراً عليه صــوراً مختلفــة، منها واحدة تمثل إمبراطوراً يسقط منكس الرأس؛ حيث كانت هناك نبوءة قديمــة تقول بأنه سوف يرمى من قمة هذا العمود أحد أباطرة القسطنطينية. ولعــل مــا حدا بفلهاردوان لذكر هذا العمود دون غيره من أعمدة المدينة هو حادثة إعــدام الإمبراطور مُرزوفليوس رمياً من فوقه؛[٢٠٣] وهي الحادثة التي سبق وأن ســجلها روبرت كلاري أيضاً، بيد أن الأخير ومعه جونتر الباريسي قــدما كثيــراً مــن التفاصيل عن ذلك العمود.

وهكذا، بدا جليا للقارئ أن غالبية الكتّــاب الــصليبيين جمعــتهم صــفة الانبهار الشديد والإعجاب البالغ بحجم مدينة القسطنطينية وثرواتهــا ومنــشآتها، لاسيما القصور والكنائس والأديرة. وهذا الهوس الــذي أصــابهم مــن بريقهــا الحضاري، الذي كانوا يفتقرون إليه في أوطانهم بغرب أوربا، جعلهم يحــاولون النيل منها بكل السبل الشرعية أو غير الشرعية، حتى أسقطوها عام ١٢٠٤م في قبضتهم، وأشبعوا نهمهم بالاستيلاء على قصورها وكنائسها وثرواتها وذخائرهــا المقدسة.

لقد كانت لكل كاتب صــليبي ظروفــه الخاصــة فــي رؤيتــه لمدينــة القسطنطينية، فمن تمكن منهم في التجول بحرية في أرجائها فصل الحديث عــن معالمها، ومن لم تتح له هذه الفرصة تناولها بين ثنايا مؤلفه بصفة عامة؛ وعلــى هذا تفاوتت القيمة التاريخية لكتابات الصليبيين عن القسطنطينية من كاتــب إلــى

آخر. بيد أن السؤال الذي يطرح نفسه في ختام البحث هو: هل لعبت النظرة العنصرية أو البربرية للصليبيين تجاه البيزنطيين دوراً مؤثراً في رؤيتهم للقسطنطينية وكتابتهم عنها؟

والإجابة على هذا التساؤل ربما تدفع الباحث إلى الحديث عن الشقاق الذي كان قائماً بين كنيستي روما وبيزنطة، والذي لا يمكن إغفاله كأحد بواعث البابوية في دفع الحركة الصليبية صوب الشرق. بيد أننا سنكتفي بالقول أن كلمات البابا في كليرمونت عام ١٠٩٥م جاءت بمثابة جواز المرور لأمراء أوروبا الإقطاعيين ليخرجوا للنيل من الشرق الحضاري بشقيه الإسلامي والبيزنطي، فكلاهما كان هرطوقا في الفكر الأوربي لاسيما الفكر الكنسي. بيد أن بيزنطة لم تكن لتعرف التواضع والتسامح بمفهومنا العربي تجاه الآخر، والمرتكز على أصول دينية؛ وهو الأمر الذي زرع الحقد في قلب أوربا الغربية تجاهها؛ والمتصفح لكتاب إدارة الإمبراطورية البيزنطية لقسطنطين بورفيروجنيتوس سيعي تماما قواعد بيزنطة في التعامل مع الآخر؛ حيث نظرت إلى معظم الشعوب الأخرى على أنهم برابرة، باستثناء الفرنجة.[٢٠٤] ففي هذا الكتاب المهم يوضح قسطنطين بورفيروجنيتوس القواعد الدبلوماسية البيزنطية في التعامل مع الآخر[٢٠٥] وأولها: اتخاذها مبدأ فرق تسد؛ ثانيها: استخدام الهدايا والتحف والحلي الثمينة والملابس الفاخرة كرشاوي لزعماء القبائل أو الحكام لتأليب هذا الحاكم على ذاك، أو لتأليب هذه القبيلة على تلك؛ ثالثها: استخدام البعثات التبشيرية المسيحية في السيادة على بعض الشعوب؛ رابعاً: عدم السماح للأمراء الأجانب بالزواج من الأميرات البيزنطيات (على الرغم من حدوث بعض حالات زواج).

لقد ساهمت كل هذه العوامل، بالإضافة إلى رغبة بيزنطة فـي التفـوق والسيادة السياسية والدينية على جيرانها، في تربص الأعداء بها، وتأهبهم علـى كل حد من حدودها للنيل منها. ولم يكن الصليبيون إلا بضع حبـات فـي عقـد أعداء بيزنطة، غير أنهم كانوا الأشد كرهاً لها، وهو ما تعكسه كلمات مؤرخيهـا الصليبيين عبر مدوناتهم التاريخية، بل وصل الحد بهـم إلـى اتهامهـا بالغـدر والخيانة.[٢٠٦] وهنا يقول أودو الدويلي أن فكـرة الاسـتيلاء علـى القـسطنطينية طُرحت على الملك لويس السابع عند تواجده بالمدينة وكانت المبررات الدينية أن القسطنطينية مدينة مسيحية اسمياً لا فعلياً، وأن أساقفة بيزنطة هراطقة.[٢٠٧] أمـا فلهاردوان فيقول عن البيزنطيين:"...هل سمعت عن شعب مذنب وغـارق فـي الخيانة المروعة أكثر من هؤلاء!"،[٢٠٨] بل تشير كلماته في موضـع آخـر إلـى نظرتهم لبيزنطة على أنها دولة مارقة ولابد من إعادتها إلى حظيرة روما، حيث يقول: "إن هؤلاء اليونانيين قد جاوزوا كل حد، وخرجوا عـن طاعـة كنيـسة روما..."[٢٠٩] بل صار الوعد بالغفران البابوي مكافأة لكل من ينهض أو يستـشهد لفتح القسطنطينية؛[٢١٠] وفي المقابل نظر البيزنطيون لقادة الحملات الصليبية بعـين الاحتقار، وأنهم نوع غريب وبربري من البشر، حثالـة يتكلمـون لغـة غيـر مفهومة، لا يتسمون بشيء سوى الجشع وسوء السلوك، ولديهم تيـه بـالنفس لا يحتمل.[٢١١]

على أية حال، ليس من المستبعد أن كل هذه العوامل أثرت على كتابات الصليبيين عن القسطنطينية، وأدت بالبعض منهم أن يهمشها، ربما عن عمد، في كتاباته عن الحركة الصليبية، برغم أنهم كانوا شهود عيان. ومع هـذا لا يمكـن إغفال التفاصيل التي قدمها أودو الدويلي أو روبرت كلاري أو جونتر الباريـسي عنها.

ملحق رقم (١)

حصر بمعالم القسطنطينية من واقع الكتابات الصليبية

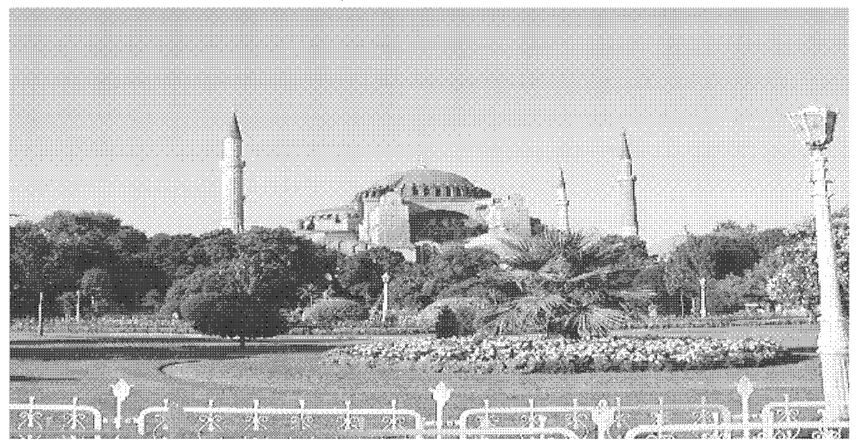
ع	الاسم	الكاتب الصليبي
١.	الأديرة	روبرت كلاري
٢.	الأسوار البرية	أودو الدويلي، جونتر الباريسي، فلهاردوان
٣.	الأعمدة والنُصب	جونتر الباريسي، روبرت كلاري، فلهاردوان
٤.	الأيقونات	روبرت كلاري
٥.	البوابات	روبرت كلاري
٦.	التماثيل	روبرت كلاري
٧.	الحدائق	أودو الدويلي
٨.	الحي اليهودي	فلهاردوان
٩.	سلسلة فم الخليج	فلهاردوان
١٠.	سوق الصيارفة	أودو الدويلي، روبرت كلاري
١١.	قصر البلاشيرن	وليم الصوري، أودو الدويلي، روبرت كلاري، جونتر الباريسي.
١٢.	قصر الكسيوس بخلقدونية	فلهاردوان
١٣.	قصر بوكليون الإمبراطوري	وليم الصوري، روبرت كلاري

١٤.	القصور الخاصة	وليم الصوري
١٥.	كنيسة الرسل المقدسين	روبرت كلاري
١٦.	كنيسة القصر الإمبراطوري	روبرت كلاري
١٧.	كنيسة آيا صوفيا	أودو الدويلي، روبرت كلاري، جونتر الباريسي.
١٨.	كنيسة دير المسيح البانتوقراتور	جونتر الباريسي
١٩.	كنيسة سان جورج	وليم الصوري
٢٠.	كنيسة سان ماري	روبرت كلاري
٢١.	كنيسة قوزماس وداميانوس	وليم الصوري
٢٢.	مساكن الفقراء	أودو الدويلي
٢٣.	الهيبودروم	وليم الصوري، روبرت كلاري
٢٤.	رفات القديسين والذخائر المقدسة	وليم الصوري، جونتر الباريسي، روبرت كلاري، فلهاردوان

ملحـــق رقـــم (٢)

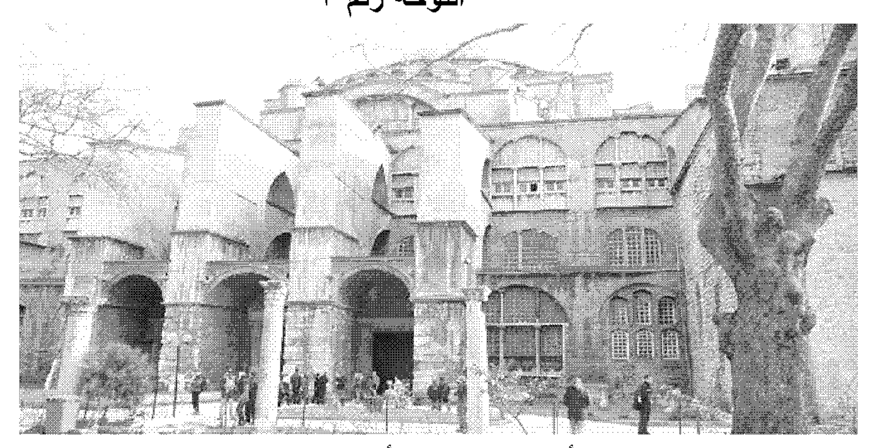
اللوحـــات*

اللوحة رقم ١



كنيسة آيا صوفيا والتي تعرف الآن باسم متحف آيا صوفيا باستانبول

اللوحة رقم ٢



أحد مداخل كنيسة أيا صوفيا الرئيسية

* هذه اللوحات مأخوذة من الموقع التالي:
www.patriarchate.org/ecumenical_patriarchate

اللوحة رقم ٣



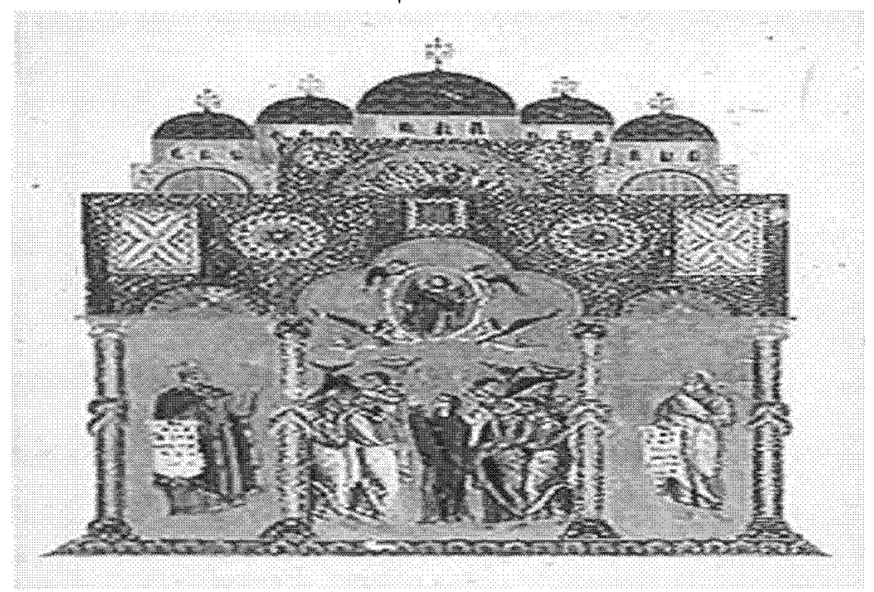
لوحة من الموزايك المذهب تمثل السيدة العذراء في الوسط تحمل السيد المسيح وعن يمينها الإمبراطور يوحنا كومنينوس وعن يسارها الإمبراطورة أيرين، منظر داخلي من آيا صوفيا

اللوحة رقم ٤



منظر داخلي يمثل جانبا من الأعمدة الرخامية التي تحمل قباب آيا صوفيا

اللوحة رقم ٥



كنيسة الرسل المقدسين، مأخوذة عن إحدى المخطوطات اليونانية

اللوحة رقم ٦



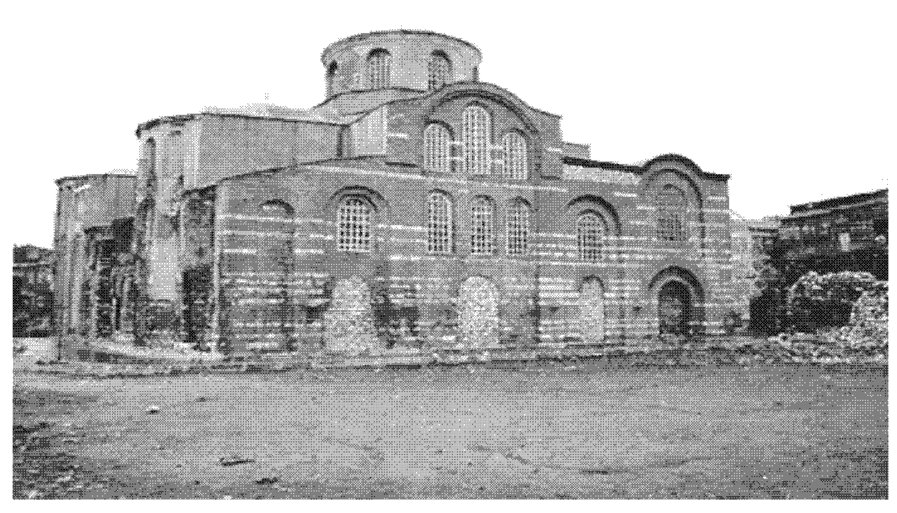
منظر يجمع بين ساحة الهيبودروم، حيث يظهر عمود قسطنطين، وآيا صوفيا

اللوحة رقم ٧



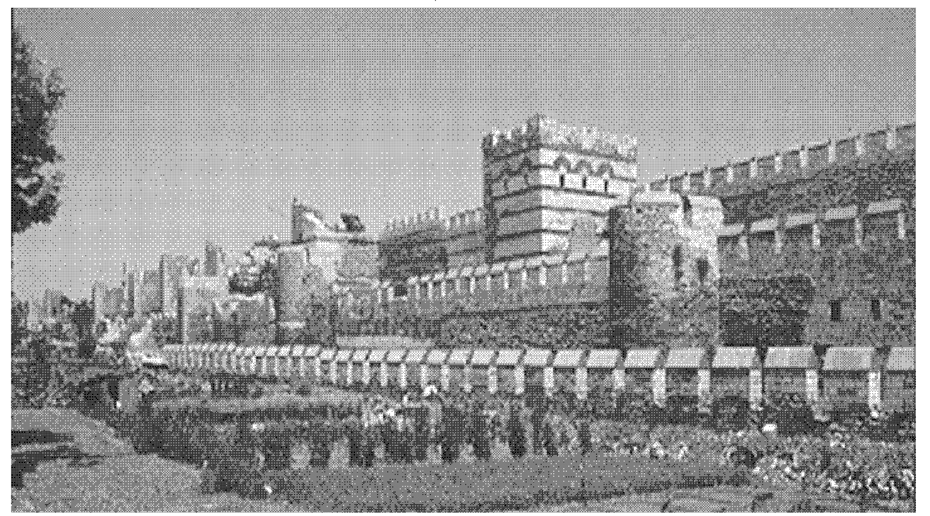
بقايا دير المسيح البانتوقراتور بالقسطنطينية

اللوحة رقم ٨



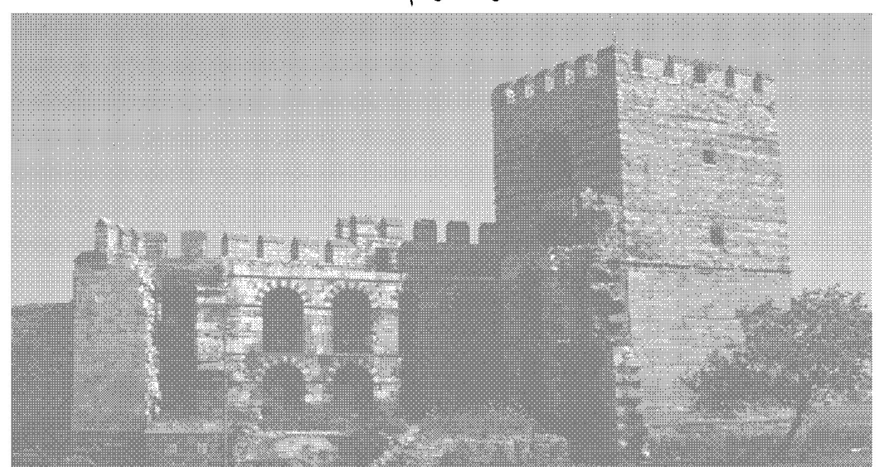
كنيسة دير المسيح البانتوقراتور بالقسطنطينية

اللوحة رقم ٩ [**]



جزء من الأسوار البرية لمدينة القسطنطينية

اللوحة رقم ١٠



أحد الأبراج الرخامية لأسوار القسطنطينية

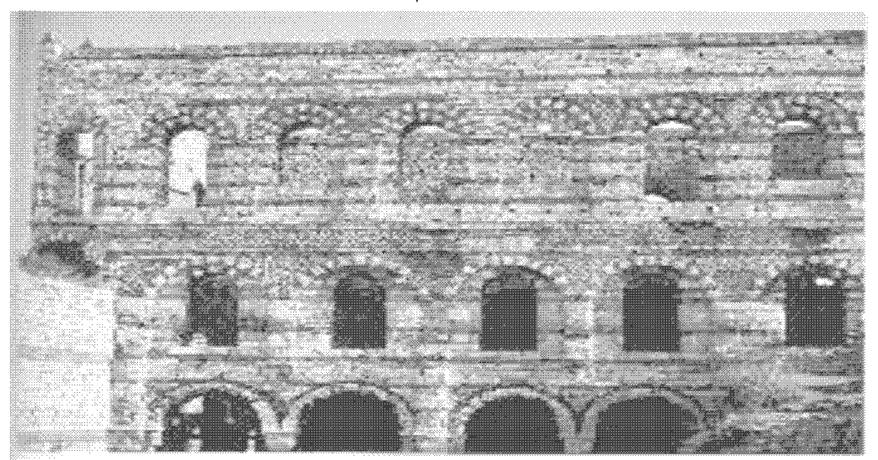
[**] اللوحـــــات مــــــن ٩-١١ مـــــــأخوذة عـــــن الموقـــــع التـــــالي:
http://www2.arch.uiuc.edu/research/rgouste

اللوحة رقم ١١



جزء من قصر بوكليون الإمبراطوري

اللوحة رقم ١٢*



جزء من القصر الإمبراطوري بالقسطنطينية

* نقلا عن الموقع التالي: http://www.fstav.tripod.com/english.html

قائمة المصادر والمراجع

أولا المصادر والمراجع الأجنبية:

- A. Berger, "Streets and Public Spaces in Constantinople", *Dumbarton Oaks Papers* 54(2000), 161-172.
- A. Cameron, "Procopius and the Church of St. Sophia", *The Harvard Theological Review* 58(Cambridge, Mass., 1965), 161-163.
- A. J. Andrea with contributions by B. E. Whalen, *Contemporary Sources for the Fourth Crusade* (Brill, 2000).
- A. Kažhdan & A. Epstein, *Change in the Byzantine Culture in the 11th Century* (London, 1985).
- A. Littlewood, "Gardens of the Palaces", in *Byzantine Court Culture from 829 to 1204,* ed. H. Maguire (Washington, D.C., 1997), 13-38.
- A. Van Millingen, *Byzantine Constantinople the Walls of the City and Adjoin Historical Sites* (London, 1899).
- A. Vogt, "L'hippodrome de Constantinople", *Byzantion* 10(1935), 471-488.
- August C. Krey, "William of Tyre", *Speculum* 16(1941), 149-66.
- C. Mango and J. Parker, "A Twelfth Century Description of St. Sophia", *Dumbarton Oaks Papers* 14(1960), 233-245. repr. also in *Studies on Constantinople* (Aldershot, 1993), no. XVII.
- C. Mango, "The Triumphal Way of Constantinople and the Golden Gate", *Dumbarton Oaks Papers* 54(2000).
- C. Mango, *Studies on Constantinople* (Aldershot, 1993).
- C. Mango, "Constantine's Column", in *Studies on Constantinople, Variorum* (Aldershot, 1993), no. III.
- C. Mango, "Justinian's Equestrian Statue", *The Art Bulletin, XLI* (New York, 1959), 1-16. repr. also in *Studies on Constantinople, Variorum* (Aldershot, 1993), no. XI.
- C. Mango, "The Columns of Justinian and his Successors", in *Studies on Constantinople, Variorum* (Aldershot, 1993), no. X.
- *Constantinople in the Early Eight Century: The Parastasies Syntomoi Chronikai,* ed. and trans. A. Cameron & J. Herrin in

con. with Alan Cameron, R. Cormack and C. Roueché, *Coulombia Studies in the Classical Tradition,* X (Leiden, 1984).
- D. E. Quller and T. F. Madden, *The Fourth Crusade: the Conquest of Constantinople* (Philadelphia, 1997).
- E. M. Langille, "La Constantinople de Guillaume de Tyr", *Byzantion* LXIII(1993), 173-197.
- E. Pears, *The Fall of Constantinople being the Story of the Fourth Crusade* (New York, 1975).
- Fulcher of Chartres, *A History of the Expedition to Jerusalem 1095-1127*, ed. H. S. Fink, Eng. trans. F. R. Ryan (Knoxville, 1969).
- G. Baker, *The Walls of Constantinople* (New York, n.d.).
- G. Majeska, " The Body of St. Theophano the Empress and the Convent of St. Constantine", *Byzantino Slavica* 38(1977), 14-21.
- *Gesta Francorum et aliorum Hierosolimitanorum*, ed. & Eng. trans. R. Hill (London, 1962).
- Gunther of Pairis, *The Capture of Constantinople, The Hystoria Constantinopolitana*, ed. and trans. A. J. Andrea (Philadelphia, 1997).
- H. Ahrweiler, "Byzantine Concepts of the Foreigner: The Case of the Nomades", in (eds. H. Ahrweiler and A. Laiou), *Studies in the Internal Diaspora of the Byzantine Empire* (Washington, D.C., 1998).
- H. Maguire, "Gardens and Parks of Constantinople", *Dumbarton Oaks Papers* 54(2000), 251-264.
- I. Cinnamus, *Epitome Historiarum*, ed. I. Bekker, *CSHB*, II (Bonn, 1836)
- J. Ebersolt et A. Thiers, *Les églises de Constantinople* (Paris, 1913)
- J. Ebersolt, *Constantinoiple byzantine et les voyageurs du levant* (Paris, 1918)
- J. Ebersolt, *Sainte-Sophie de Constantinople, étude de topographie d'après les cérémonies* (Paris, 1910)
- J. Harris, *Byzantium and the Crusades* (London, 2003).
- J. Jill, *Byzantium and the Papcy 1198-1400* (New Jersey, 1979)

- K. Ciggaar, "Une description de Constantinople traduite par un pèlerine anglais du XII[e] siècle", *Revue des Études Byzantins* 34(1976), 211-267.
- K. Ciggaar, *Western Travelers to Constantinople, the West and Byzantium, 962-1204: Cultural and Political Relations* (Leiden, 1996).
- K. Ciggaar," Une description de Constantinople dans le *Tarragonensis* 55", *Revue des Études Byzantins* 53(1995), 117-140.
- Liddell and Scott, *An Intermediate Greek- English Lexicon* (Oxford, 1986).
- M. Carrier, *L'image du Grec selon les chroniqueurs des croisades: perceptions et reactions face au cérémonial byzantin 1096 à 1204,* Unpublished MA. Thesis, University of Sherbrooke (June 2000).
- M. Kaplan, *Tout l'or de Byzance* (Paris, 1998).
- M. Whitby, "The Long Walls of Constantinople", *Byzantion* 55(1985), 560-583.
- N. Kondakov, "Les costumes orientaux à la cour byzantine", *Byzantion* 1(1924), 7-49.
- Niketas Choniates, *O the City of Byzantium, Annals of Niketas Choniates*, Eng. trans. H. Magoulias (Detroit, 1984).
- Odo of Deuil, *De profectione Ludovici VII in Orientem,* ed. and Eng. trans. V. G. Berry (New York, 1948).
- Otto of St. Blasien, *Ad librum VII chronici Ottonis Frisingensis Episcopi continuatae historiae appendix*, XXI, *MGH.*
- P. Magdalino, " Manuel Komnenos and the Great Palace", *Byzantine and Modern Greek Studies* 4(Oxford, 1978), 101-114.
- R. Guilland, *Études de topographie de Constantinople byzantine*, Berlin (Amsterdam, 1969).
- R. Janin, "Du Forum Bovis au Forum Tauri etudes topographie", *Revue des Etudes Byzantines* 13(1955), 85-108.
- R. Janin, *Constantinople byzantine* (Paris, 1950).
- R. Janin, *Les églises et les monastères des grands centres byzantins* (Paris, 1971).

- R. Macrides, "Constantinople: The Crusaders' Gaze", in *Travel in the Byzantine World, Papers from the Thirty-fourth Symposium of Byzantine Studies, Birmingham, April 2000,* ed. R. Macrides (Aldershot, 2002).
- Robert of Clari, *The Conquest of Constantinople,* Eng. trans. E. H. McNeal (Toronto, London,, 1936), repr. 1996.
- S. G. Bassett, "The Antiquities in the Hippodrome of Constantinople", *Dumbarton Oaks Papers* 45(1991), 87-96.
- S. Runciman, "The Visit of Amalric I to Constantinople in 1171", in (eds.) B. Z.Kedar, R. C. Smail, and H. E. Mayer, *Outremer: Studies in the History of the Crusading Kingdom of Jerusalem* (Jerusalem, 1982).
- Stephen of Novgorod, *The "Wonderer" of Stephen of Novgorod,* in *Russian Travelers to Constantinople in the Fourteenth and Fifteenth Centuries*, Eng. trans. G. Majeska (Washington, D. C., 1984).
- *The Chronicle of Theophanes Confessor,* Eng. trans. C. Mango and R. Scott (Oxford, 1997).
- Villehardouin, *The Conquest of Constantinople*, in: Joinville & Vellehardouin, *Chronicles of the Crusades*, Eng. trans. M. R. B. Shaw (Penguin books, n.d.).
- William Archbishop of Tyre, *A History of Deeds Done Beyond the Sea,* Eng. trans. E. W. Babcock and A.C. Krey, II (New York, 1943).

ثانيا المصادر والمراجع العربية والمعربة:

- ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرايب، القاهرة، ١٨٥٩.
- ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، بيروت، د.ت.
- ابن خرداذبه، المسالك والممالك، بغداد، د.ت.
- ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ليدن، ١٨٩١.
- ابن فقيه الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، ليدن، ١٣٠٢هـ.
- اسمت غنيم، الحملة الصليبية الرابعة ومسئولية انحرافها ضد القسطنطينية، الإسكندرية، ١٩٨٢.

- أومان، ش.، الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة مصطفى طه بدر، القاهرة، ١٩٥٣.
- بالار، ميشيل، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر-القرن الرابع عشر، ترجمة بشير السباعي، القاهرة، ٢٠٠٣.
- رأفت عبد الحميد، قضايا من تاريخ الحروب الصليبية، القاهرة، ١٩٩٨.
- رأفت عبد الحميد، قواعد الدبلوماسية البيزنطية، المجلة التاريخية المصرية، ٣٣(١٩٨٦).
- رنسمان، س.، الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة، ١٩٦١.
- رنسمان، س.، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، ج١، بيروت، ١٩٨١؛ ج٢، ١٩٦٨.
- روبرت كلاري، فتح القسطنطينية على أيدي الصليبيين، ترجمة وتقديم حسن حبشي، القاهرة، ١٩٦٤.
- الزهري، كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، القاهرة، د.ت.
- سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، القاهرة، ١٩٦٣.
- سعيد عاشور، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٧٦.
- سمالي، بيريل، المؤرخون في العصور الوسطى، ترجمة قاسم عبده قاسم، القاهرة، ١٩٨٤.
- السيد الباز العريني، الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ج١، القاهرة، ١٩٦٣
- السيد الباز العريني، مؤرخو الحروب الصليبية، القاهرة، ١٩٦٢.
- طارق منصور، الجيش في الإمبراطورية البيزنطية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية آداب بنها، جامعة الزقازيق، ١٩٩٣.
- طارق منصور، دراسة نقدية تحليلية لمصادر تاريخ الدولة البيزنطية في عصرها الأخير، القاهرة، ٢٠٠٥.

- طارق منصور، هارون بن يحيي مصدر من مصادر التاريخ البيزنطـي، حوليـة كلية التربية للبنات بالطائف، عدد ٦(١٤٢٥-١٤٢٦هـ).
- عادل زيتون، العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتينـي في العصور الوسطى، دمشق، ١٩٨٠.
- عبد العزيز رمضان، العلاقات البيزنطية اللاتينية في عهد الإمبراطـور مانويـل الأول كومنينوس ١١٤٣-١١٨٠م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعـة عـين شمس، ٢٠٠٠.
- علية الجنزوري، الحروب الصليبية (المقدمات السياسية)، القاهرة، ١٩٩٩.
- فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ترجمة وتعليق حسن حبشي، جدة، ١٤٠٣هـ.
- فوشيه الشارتري، الاستيطان الصليبي في فلسطين: تـاريخ الحملـة إلـى بيـت المقدس، ترجمة ودراسة وتعليق قاسم عبده قاسم، القاهرة، ٢٠٠١.
- قاسم عبده قاسم، الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية دراسة عن الحملة الأولـى ١٠٩٥-١٠٩٩م، القاهرة، ١٩٨٣.
- قدامة بن جعفر، نبذ من كتاب الخراج، ملحق على كتاب المسالك والممالك، بغداد، د.ت.
- القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، د.ت.
- ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية للملكة اللاتينيـة فـي القـسطنطينية، رسـالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٠.
- ليلى عبد الجواد، القسطنطينية في ضوء كتابات الجغرافيين والرحالـة المـسلمين، مجلة المؤرخ المصري، عدد٣-٤(١٩٨٩)
- ماير، هانس، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمـة وتعليـق عمـاد الـدين غـانم، منشورات مجمع الفاتح للجامعات، ١٩٩٠.
- محمود سعيد عمران، السياسة الـشرقية للإمبراطوريـة البيزنطيـة فـي عهـد الإمبراطور مانويل الأول ١١٤٣-١١٨٠م، القاهرة، ١٩٨٥.

- ميخائيل عواد، مآصر بلاد الروم والإسلام، بغداد، ١٩٤٨.
- نجلاء مصطفى شيحة، مدينة القسطنطينية في القرن العاشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٩.
- الهروي، كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق جانين سورديل، دمشق، ١٩٥٣.
- وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، ج١، ١٩٩١؛ ج٣، القاهرة، ١٩٩٤.
- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، بيروت، ١٩٨٤.

ثالثا مواقع الشبكة الدولية للمعلومات:

- http://www.catholicencyclopedia.com/a/abbot
- www.callisto.si.usherb.ca/~croisade/Byzance.htm

هوامش الدراسة

* أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى ا.د. اسحق عبيد، الذي شجعني على المضي في هذا البحث؛ كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى ا.د.قاسم عبده قاسم و ا.د. ليلى عبد الجواد اللذان أثريا البحث أيضاً بمناقشاتهما وملاحظاتهما السديدة.

[1] هناك عدد من الدراسات المهمة عن القسطنطينية: R. Guilland, *Études de topographie de Constantinople byzantine* (Amsterdam, 1969); R. Janin, *Constantinople byzantine* (Paris, 1950); Idem, *Les églises et les monastères des grands centres byzantins* (Paris, 1971), 298-341; G. Majeska, "The Body of St. Theophano the Empress and the Convent of St. Constantine", *Byzantinoslavica* 38(1977), 14-21; C. Mango, *Studies on Constantinople* (Aldershot, 1993).

[2] تجدر الإشارة إلى أن هناك دراسة باللغة العربية تتناول القسطنطينية في الفترة السابقة على البحث قدمتها الباحثة نجلاء مصطفى شيحة، بعنوان "مدينة القسطنطينية في القرن العاشر الميلادي"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٩، وهي عبارة عن موسوعة تاريخية لهذه المدينة في تلك الحقبة.

[3] سوف تقتصر هذه الدراسة على الكتاب الصليبيين الذين، إما زاروا المدينة بالفعل أو كتبوا عنها؛ وبهذا سيتخطى الباحث رهط من الكتاب الصليبيين، الذين أرخوا للحملات الصليبية، لاسيما من الأولى إلى الرابعة، غير أنهم لم يتعرضوا للحديث عن المدينة.

[4] ولد وليم الصوري في مدينة بيت المقدس عام ١١٢٨م تقريبا، كواحد من أبناء الجيل الثاني الصليبي الجديد في الشرق. تلقى تعليمه الأول في بيت المقدس، غير أنه عند بلوغه سافر إلى باريس، كعبة العلم آنذاك في الغرب، ودرس بها كما درس ببولونيا. وبعد عودته في عام ١١٦٣م إلى فلسطين أصبح رئيسا لشمامسة كنيسة صور عام ١١٦٧م. وفي عام ١١٦٨م أرسله الملك عموري في بعثة دبلوماسية إلى الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنينوس؛ كما ذهب في بعثة أيضا إلى روما. وبعد عودته أصبح وصيا على بلدوين الرابع، الذي صار ملكاً على بيت المقدس فيما بعد عام ١١٧٣م. وقد أصبح وليم رئيساً لأساقفة صور في عام ١١٧٥م. وقد توفي عام ١١٨٦م. انظر: السيد الباز العريني، مؤرخو الحروب الصليبية (القاهرة، ١٩٦٢)، ص ٩٩-١٥٢؛ August C. Krey, "William of Tyre", *Speculum* 16(1941), 149-66.

[5] كان أودو الدويلي راهباً في دير القديس دينيس St. Denis، وقد أتي من دويل Deuil، الواقعة في وادي مونتمورينسيMontmorency. وفي عام ١١٤٧م التحق بالملك لويس السابع، ملك فرنسا، في الحملة الصليبية الثانية على الشرق. انظر: Odo of Deuil, *De profectione Ludovici VII in Orientem*, ed. and Eng. trans. V. G. Berry (New York, 1948), xiv-xv.

[6] عن الحملة الصليبية الرابعة انظر الدراسات الحديثة التالية: هانس ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة وتعليق عماد الدين غانم، منشورات مجمع الفاتح للجامعات (طرابلس، ١٩٩٠)، ٢٧٧-٣٠٠؛ ميشيل بالار، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر- القرن الرابع عشر، ترجمة بشير السباعي (القاهرة، ٢٠٠٣)، ص ٢٠٢-٢١٨؛ سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢ (القاهرة، ١٩٦٣)، ص ٩٢٩-٩٤٠؛ اسمت غنيم، الحملة الصليبية الرابعة ومسئولية انحرافها ضد القسطنطينية (الإسكندرية، ١٩٨٢)؛ عادل زيتون، العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى (دمشق، ١٩٨٠)، ص ٢٩٤-٣١٣؛ ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية للملكة

اللاتينية في القسطنطينية، رسالة ماجستير غير منشورة، كليـة الآداب، جامعـة القـاهرة، ١٩٨٠، ص ١-٥١؛ E. Pears, *The Fall of Constantinople being the Story of the Fourth Crusade* (new York, 1975); J. Jill, *Byzantium and the Papacy 1198-1400* (New Jersey, 1979), 9-47; D. E. Quller and T. F. Madden, *The Fourth Crusade: the Conquest of Constantinople* (Philadelphia, 1997); J. Harris, *Byzantium and the Crusades* (London, 2003), 145-163.

[7] E. M. Langille, "La Constantinople de Guillaume de Tyr", *Byzantion* LXIII(1993), 178.

[8] لقد حدا هذا بالمؤرخ الفرنسي ميشيل كابلان إلى أن يعنون أحد كتبه باسم: M. Kaplan, *Tout l'or de Byzance* (Paris, 1998).

[9] انظر الكتاب المهم الذي قدمه سيجَّار عن الرحالة الغربيين إلى القسطنطينية، والذي يؤكـد فيـه هـذه الحقيقـة. K.Ciggaar, *Western Travellers to Constantinople, the West and Byzantium, 962-1204: Cultural and Political Relations* (Leiden, 1996), 45-77.

[10] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية على أيدي الصليبيين، ترجمة وتقـديم حـسن حبـشي (القـاهرة، ١٩٦٤)، ص ١٢٣؛ Robert of Clari, *The Conquest of Constantinople*, Eng. trans. E. H. McNeal (Toronto, London,, 1936), repr. 1996, 101. تتردد نفس العبارات أيضاً في رواية الراهب المجهول مـن شـمال تَرراجون Tarragon عن القسطنطينية في أواخر القرن الحادي عشر المـيلادي، والـذي كتب معتمدا على روايات البيزنطيين الشفهية له عند زيارته للمدينة. انظر: K. Ciggaar, "Une description de Constantinople dans le *Tarragonensis* 55", *Revue des Études Byzantines* 53(1995), 119, 120, 121, 122.

[11] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٣٢؛ *Robert of Clari,* 112.

[12] Ciggaar, *Western Travellers*, 46.

[13] Stephen of Novgorod, *The "Wonderer" of Stephen of Novgorod,* in *Russian Travelers to Constantinople in the Fourteenth and Fifteenth Centuries*, Eng. trans. G. Majeska (Washington, D. C., 1984), 44.

[14] R. Macrides, "Constantinople: the Crusaders' Gaze", in (ed.) R. Macrides, *Travel in the Byzantine World, Papers from the Thirty-fourth Symposium of Byzantine Studies, Birmingham, April 2000* (Aldershot, 2002), 195-196.

[15] عن كنائس القسطنطينية انظر الدراسات المهمة التاليــة: J. Ebersolt et A. Thiers, *Les églises de Constantinople* (Paris, 1913); idem, *Sainte-Sophie de Constantinople, étude de topographie d'après les cérémonies* (Paris, 1910); C. Mango and J. Parker, "A Twelfth Century Description of St. Sophia", *Dumbarton Oaks Papers* 14(1960), 233-245;Ciggaar,*Une description de Constantinople dans le Tarragonensis*, 117-140.

[16] أنشأ الإمبراطور قسطنطين العظيم هذه الكنيسة مع إنشائه لمدينة القسطنطينية، وكانت مبنى متواضعا يختلف عن الذي شيده جستنيان في القرن السادس الميلادي. وقد احترقت مــرتين واحدة في القرن الخامس الميلادي والثانية في القرن الــسادس المــيلادي، إلــى أن أعــاد جستنيان بنائها بالفخامة التي عليها حتى الآن. وكان يربط بينها وبين القصر الإمبراطــوري رواق خشبي، يرتاده الإمبراطور وحاشيته عند الذهاب إليها للصلاة أو الاحتفالات. انظــر: أومان، ش.، الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة مصطفى طه بــدر (القــاهرة، ١٩٥٣)، ص ٢٣؛ A. Cameron, "Procopius and the Church of St. Sophia", *The Harvard Theological Review* 58(Cambridge, Mass., 1965), 161-163. انظر أيضا اللوحات رقم ١، ٢، ٣، ٤.

[17] انظر اللوحة رقم ٥.

[18] Ciggaar, *Western Travellers*, 48.

[19] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص١٢٩؛ *Robert of Clari*, 107-108.

[20] Ciggaar, *Western Travellers*, 47.

[21] Odo of Deuil, *De profectione* , 69.Cf. also Ciggaar, *Western Travellers*, 50-51.

[22] Odo of Deuil, *De profectione* , 67.

[23] نشر روايته اللاتينية سيجّار، K. Ciggaar, "Une description de Constantinople traduite par un pèlerine Anglais du XII^e siècle", *Revue des Études Byzantines* 34(1976), 211-267.

[24] Ciggaar, *Western Travellers*, 48.

[25] كان جونتر الباريسي أحد الرهبان الألمان البندكتيين من دير باريس بالألزاس، ولــد نحــو عام ١١٥٠من الذين كتبوا عن الحملة الصليبية الرابعة على القسطنطينية من واقــع شــهود عيــان. انظــر: Gunther of Pairis, *The Capture of Constantinople, The*

Hystoria Constantinopolitana, ed. and trans. A. J. Andrea (Philadelphia, 1997), 130-131.

[26] انظر بصفة خاصة الفصلين التاسع عشر والخامس والعشرين من مؤلفه.

[27] كان جودفري فلهاردوان من أسرة فرنسية نبيلة، عرفت باسم "فلهاردوان" نسبة إلى قلعة بهذا الاسم في إقليم تروي في شمبانيا بفرنسا.ونظرا لأن أباه كان نبيلا إقطاعيا فقد نشأ جودفري نبيلا أيضا. ومن المحتمل أنه ولد فيما بين ١١٥٠-١١٥٤م أو ربما ١١٦٠م. اشترك جودفري فلهاردوان في الحملة الصليبية الرابعة، كأحد اتباع الكونت ثيبوت، كونت شمبانيا؛ وقد أرخ لها كشاهد عيان، مما أعطى أهمية كبيرة لعمله التاريخي عن "فتح القسطنطينية". وكان فلهاردوان ذا مكانة عند سيده ثيبوت، أهلته لتولي بعض المهام الدبلوماسية والسياسية؛ كما أهلته لتولي بعض المفاوضات مع البنادقة عند إكري، وكذلك ليكون ضمن الوفد المفاوض للإمبراطور البيزنطي اسحق كومنينوس. لمزيد من التفاصيل عن جودفري فلهاردوان ومكانته التاريخية ضمن مؤرخي الحروب الصليبية انظر: فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ترجمة وتعليق حسن حبشي (جدة، ١٤٠٣هـ)، ص ١١-١٥؛ بيريل سمالي، المؤرخون في العصور الوسطى، ترجمة قاسم عبده قاسم (القاهرة، ١٩٨٤)، ص ١٤٨-١٥١.

[28] لا توجد معلومات كافية عن روبرت كلاري، برغم أنه كان أحد المشتركين في الحملة الصليبية الرابعة على القسطنطينية ١٢٠٤م، وشهد بنفسه سقوط المدينة في أيديهم. ولعل مرجع ندرة المعلومات عن روبرت كلاري ترجع إلى أنه كان من أبناء الطبقة الشعبية المشاركة في الحملة، ومن ثم لم يرق إلى المكانة التي قد تؤهله للعناية الجديرة به. وقد أسهم كلاري في الحملة تحت لواء بطرس داميان Pierre d'Amiens. وقد نعت روبرت بكلاري نسبة إلى الناحية التي جاء منها وهى ناحية Clery les Pernois ، بل إنه سمى نفسه بهذا الاسم في مذكراته عن الحملة. كانت هذه الإقطاعية الصغيرة في حوزة أبيه جيلو Gilo من قبل، إذ كان فَصَلاً إقطاعياً لبطرس داميان، ولم تكن فصيلته بالتي ترقى به إلى المكان الأعلى. لمزيد من التفاصيل انظر: روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ٢٣-٢٤؛ *Robert of Clari*, 3-7; Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze*, 198.

[29] كان فوشيه الشارتري واحداً من رجال الدين الذين اشتركوا في الحملة الصليبية الأولى، فقد كان القس الخاص ببلدوين الأول حاكم الرها من عام ١٠٩٨-١١٠٠م، وأول ملك صليبي لبيت المقدس من عام ١١٠٠-١١١٨م. واستقر فوشيه أو فوشيه من شارتر كما يذكر عن نفسه، بالقدس منذ نهاية عام ١١٠٠ وحتى عام ١١٢٧م على أدنى تقدير. ويميز كتاب فوشيه الشارتري، ليس أنه شاهد عيان فحسب، بل لأنه فصل علاقات مملكة بيت المقدس بجيرانها المسلمين بمصر والشام، مما أدى لاعتماد وليم الصوري عليه بصورة جزئية. بيد أن رائحة العداء في كتابه تفوح منه، حيث ينعتهم بأفظع الألفاظ التي هم منها براء. والتاريخ الذي كتبه فوشيه هو المؤلف الوحيد الذي كتبه مستوطن فرنجي محلي يغطي كل الفترة التكوينية الباكرة التي أعقبت الحملة الصليبية الأولى. لمزيد من التفاصيل عنه انظر: فوشيه الشارتري، الاستيطان الصليبي في فلسطين: تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ترجمة ودراسة وتعليق قاسم عبده قاسم (القاهرة، ٢٠٠١)، ص ٢٣-٧١.

[30] Fulcher of Chartres, *A History of the Expedition to Jerusalem 1095-1127*, ed. H. S. Fink, Eng. trans. F. R. Ryan (Knoxville, 1969), 79.
انظر أيضا: فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ص ٩٦-٩٧.

[31] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٣٠-١٣٣؛ *Robert of Clari*, 109-112.

[32] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٢٦؛ *Robert of Clari*, 105.

[33] Villehardouin, *The Conquest of Constantinople*, in: Joinville & Vellehardouin, *Chronicles of the Crusades*, Eng. trans. M. R. B. Shaw (Penguin books, n.d.), 58-59.
انظر أيضا: فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ص ٨٩.

[34] Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze*, 194.

[35] Fulcher of Chartres, *A History of the Expedition to Jerusalem*, 78.
انظر أيضا: فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ص ٩٦.

[36] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٢٦؛ *Robert of Clari*, 105.

[37] Ciggaar, *Western Travellers*, 47.

[38] انظر: وليم الصوري، ج٤، ص ١٠٠-١٠٢؛ William Archbishop of Tyre, *A History of Deeds Done Beyond the Sea,* Eng. trans. E. W. Babcock and A.C. Krey, II (New York, 1943), 348-349.

[39] Ebersolt, *Constantinoiple byzantine*, 32-33.

[40] Ciggaar, *Western Travellers*, 51.

[41] يطلق عليه أيضاً اسم القصر الكبير أو القصر المقدس. انظر: Janin, *Constantinople byzantine*, 107.

[42] أنشأ الإمبراطور مارقيان وزوجته بولخيريا هذا القصر في البلاشيرن للراحة أو التقاعد به. انظر: Janin, *Constantinople byzantine*, 124.

[43] J. Ebersolt, *Constantinoiple byzantine et les voyageurs du levant* (Paris, 1918), 38-40.

[44] Ebersolt, *Constantinoiple byzantine*, 33-36.

[45] Ciggaar, *Une description de Constantinopl*, 244; Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze*,193.

[46] نقلا عن: عبد العزيز رمضان، العلاقات البيزنطية اللاتينية في عهد الإمبراطور مانويـل الأول كومنينوس ١١٤٣-١١٨٠م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠٠٠، ص ١٠٤.

[47] ولد يوحنا تزتزس حوالي عام ١١٠م، وتوفي فيما بين عامي ١١٨٠ و ١١٨٥م. وقد ولـد لأم جورجية وأب بيزنطي.وبرغم أن جده لبيه كان غنيا فقد كان تزتزس سيئ الحظ. كان تزتزس من الشعراء البيزنطيين الذين عاشوا في القرن الثاني عشر الميلادي؛ حيث تـرك خلفه عددا من الأعمال الأدبية. انظـر: Sv. Tzetzes, *ODB*, III (Oxford, 1992), 2136.

[48] A. Každhan & A. Epstein, *Change in the Byzantine Culture in the 11th Century* (London, 1985), 259-260.

[49] عن الحملة الصليبية الأولى انظر الدراسات الحديثة التالية: قاسـم عبـده قاسـم، الخلفيـة الأيديولوجية للحروب الصليبية دراسة عن الحملة الأولى ١٠٩٥-١٩٩م (القاهرة، ١٩٨٣)؛ سعيد عاشور، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فـي العـصور الوسـطى (القـاهرة، ١٩٧٦)، ص ٧-٢٢٧؛ علية الجنزوري، الحروب الصليبية:المقدمات السياسية (القـاهرة، ١٩٩٩)، ص ٢٤٥-٢٩٦؛ هـ. ماير، تـاريخ الحـروب الـصليبية، ص ٢٣-٩٥؛ س. رنسمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، ج١ (بيروت، ١٩٨١)، ص ١٣٥-٤٨٣؛ ميشيل بالار، الحملات الصليبية والشرق اللاتينـي، ص ٤٥-٩٦؛ Harris, *Byzantium and the Crusades*, 53-93.

[50] Fulcher of Chartres, *A History of the Expedition to Jerusalem*, 78.

انظر أيضا: فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ص ٩٦.

[51] كان المؤلف المجهول أحد شهود العيان للحملة الصليبية الأولى. ويبدو أنه كان ينتمي إلى أسرة نورمانية استقرت في جزيرة صقلية بعد غزو النورمان لها، وانضم إلى الفرقة الصقلية تحت قيادة بوهيموند النورماندي، الذي كان ابنا غير شرعي صقلي-نورماني آخر، أي أن بوهيموند كان سيده. ويعتبر كتابه المسمى "أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس" رواية شاهد عيان على أحداث الحملة الصليبية الأولى. ويبدو أن الكاتب بدأ في كتابة مذكراته أثناء تواجده مع الصليبيين في أنطاكية. ومن المحتمل أن يكون قد مات عام ١٠٩٩م، عقب انتصار الصليبيين عند عسقلان. انظر: سمالي، المؤرخون في العصور الوسطى، ص ١٣٧-١٤٢.

[52] *Gesta Francorum et aliorum Hierosolimitanorum*, ed. & Eng. trans. R. Hill (London, 1962), 3.

انظر أيضا: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة وتعليق حسن حبشي (القاهرة، ١٩٥٨)، ص١٩ .

[53] عن تفاصيل الحملة الصليبية الثانية انظر أيضاً: وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، ج٣ (القاهرة، ١٩٩٤)، ص ٢٢٩-٣٧٥؛ ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ص ١٤٣-١٦٠؛ س. رنسمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، ج٢ (بيروت، ١٩٦٨)، ص ٣٩٧-٦٤٨؛ ميشيل بالار، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني، ص ١٨٣-١٩١؛ السيد الباز العريني، الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ج١ (القاهرة، ١٩٦٣)، ص ٥٤٤-٥٧٤؛ سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص ٦٢١-٦٤٤.

[54] Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze*, 194.

[55] Odo of Deuil, *De profectione*, 69.

[56] عن تأثير فرجيليوس على الثقافة الأوربية ورؤيتها للبيزنطيين [اليونانيين] انظر: M. Carrier, *L'image du Grec selon les chroniqueurs des croisades: perceptions et reactions face au cérémonial byzantin 1096 à 1204*, Unpublished MA. thesis, University of Sherbrooke (June 2000), 40-44. See also: www.callisto.si.usherb.ca/~croisade/Byzance.htm

[57] Odo of Deuil, *De profectione* ,27.

[58] Odo of Deuil, *De profectione* , 75.

[59] Odo of Deuil, *De profectione*, 63.
[60] Odo of Deuil, *De profectione* , 65.
[61] Odo of Deuil, *De profectione*, 49.
[62] الاستامينا مصطلح شعبي استخدمه البيزنطيون للإشارة إلى العملة، لاسيما العملة النحاسية التي كانت متداولة آنذاك، والتي من المحتمل أن مانويل كومنينوس قام بسكها، على أثر الصعوبات المالية التي مرت بعهده. انظر: Odo of Deuil, *De profectione* , 40, n. 1, 41.
[63] Odo of Deuil, *De profectione* , 41, 67.
[64] كانت القسطنطينية محاطة بعدد من الأسوار البرية والبحرية لحمايتها، تعود إلى عدد من الأباطرة. وكانت الأسوار البرية ثلاثية ومزودة بعدد من الأبراج الشاهقة وخندق مائي؛ ويقع على بعد ٤٠ ميلا غرب القسطنطينية سور انستاسيوس الطويل. عن أسوار القسطنطينية انظر: A. Van Millingen, *Byzantine Constantinople, the Walls of the City and Adjoining Historical Sites* (London, 1899); G. Baker, *The Walls of Constantinople* (New York, n.d.). M. Whitby, “The Long Walls of Constantinople”, *Byzantion* 55(1985), 560-583; Janin, *Constantinople byzantin,* 245-282.

انظر أيضا: ابن خرداذبه، المسالك والممالك (بغداد، د.ت.)، ص ١٠٤-١٠٥؛ الزهري، كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق (القاهرة، د.ت.)، ص ٧٣-٧٤؛ قدامة بن جعفر، نبذ من كتاب الخراج، ملحق على كتاب المسالك والممالك (بغداد، د.ت.)، ص ٢٥٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣ (بيروت، ١٩٨٤)، ص ٩٨؛ طارق منصور، الجيش في الإمبراطورية البيزنطية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية آداب بنها، جامعة الزقازيق، ١٩٩٣، ص ٢١٥-٢١٧.

[65] عن حدائق القسطنطينية انظر الدراسات التالية: A. Littlewood, "Gardens of the Palaces", in *Byzantine Court Culture from 829 to 1204,* ed. H. Maguire (Washington, D.C., 1997), 13-38; H. Maguire, "Gardens and Parks of Constantinople", *Dumbarton Oaks Papers* 54(2000), 251-264.
[66] Odo of Deuil, *De profectione*, 49.
[67] يشير أودو إلى أن أسقف لانجر Langres أشار على لويس السابع بالاستيلاء على المدينة، مستغلين ضعف أسوارها، التي انهار جزء كبير منها أمام أعينهم. مشيرا إلى أنه

لو تم الاستيلاء على هذه المدينة فلا حاجة لفتح غيرها. فالقسطنطينية مسيحية اسما فقط، وليس فعليا. وقد قدم مبررات غير ذلك منها سلوك البيزنطيين نحو الحملة الصليبية الأولى ومسألة المدن. وهذا يشير إلى أن فكرة استيلاء الصليبيين على القسطنطينية كانت مبكرة عن الحملة الصليبية الرابعة، وأن فكرة خيانة بيزنطة للقضية الصليبية كانت ماثلة في أذهانهم. انظر: Odo of Deuil, *De profectione* , 69 ff.

[68] انظر الخريطة الملحقة بالبحث Odo of Deuil, *De profectione* , 65.

[69] عن شوارع القسطنطينية انظر: A. Berger, "Streets and Public Spaces in Constantinople", *Dumbarton Oaks Papers* 54(2000), 161-172.

[70] Odo of Deuil, *De profectione*, 65.

[71] Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze,* 196.

[72] Odo of Deuil, *De profectione* , 65, 67.

[73] Odo of Deuil, *De profectione*, 67; I. Cinnamus, *Epitome Historiarum*, ed. I. Bekker, *CSHB*, II (Bonn, 1836), 17. Cf. also Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze,* 194.

[74] انظر: Odo of Deuil, *De profectione*, 27, 59, 61; Carrier, *L'image du Grec*, 133-136, 192, 193.

[75] تتطابق هذه الملابس مع رداء الاسكارامنجيون البيزنطي. انظر: N. Kondakov, "Les costumes orientaux à la cour byzantine", *Byzantion* 1(1924), 13; Carrier, *L'image du Grec,* 134.

[76] Odo of Deuil, *De profectione*, 27.

[77] يقول أودو أن العاهلين كانا متقاربين في السن تقريباً، ولا يفرقهما إلا اختلاف الزي والعادات. انظر: Odo of Deuil, *De profectione*, 59.

[78] كان من التقاليد البيزنطية أن يكون كرسي الضيف أقصر في القامة من كرسي الإمبراطور، وهذا ما أكدته رواية وليم الصوري، عندما استقبل الإمبراطور مانويل كومنينوس الملك عموري، ملك بيت المقدس بالقصر الإمبراطوري. انظر: وليم الصوري، الحروب الصليبية، تحقيق حسن حبشي، ج٤ (القاهرة، ١٩٩٥)، ص١٤١-١٤٢. ويقول يوحنا كيناموس أن لويس السابع حضر إلى الإمبراطور، الذي كان جالساً على عرشه الذهبي السامق، وسمح للويس السابع بالجلوس إلى جواره على كرسي اقل من كرسي العرش الإمبراطوري. انظر: *Cinnamus*, II, 17.

[79] Odo of Deuil, *De profectione*, 59, 61.
[80] Odo of Deuil, *De profectione*, 59.
[81] William of Tyre, *Deeds*, I, 125.
انظر أيضا: وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة وتعليق حسن حبشي، ج١ (القاهرة، ١٩٩١)،ص ١٥٧.
[82] وليم الصوري، ج١، ص ١٦١. كانت هناك عدة قصور إمبراطورية في المدينة غير القصر الإمبراطوري وقصر البلاشيرن. عنها انظر:
Janin, *Constantinople byzantine*, 123-144.
[83] وليم الصوري، الحروب الصليبية، ص ١٠٠؛ Carrier, *L'image du Grec*, 115.
[84] محمود سعيد عمران، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل الأول ١١٤٣-١١٨٠م (القاهرة، ١٩٨٥)، ص ٣٢٢. كانت زيارة عموري إلى القسطنطينية تستهدف التباحث مع الإمبراطور مانويل كومنينوس حول المساعدات التي يحتاجها الصليبيون في فلسطين ضد جيرانهم المسلمين، لاسيما مصر على وجه الخصوص. انظر، نفس المرجع، ص ٣٢١-٣٢٢.
[85] يتتبع وليم الصوري هنا أصل تسمية البروبونتس أو الهيللسبونيت. انظر: وليم الصوري، ج١، ص ١٥٨-١٥٩؛ انظر أيضا: William of Tyre, *Deeds*, I, 125-127.
[86] وليم الصوري، ج١، ص١٥٩-١٦٠؛ William of Tyre, *Deeds*, I, 127. Cf. also Langille, *La Constantinople de Guillaume de Tyr*, 181.
عن موقع القسطنطينية الجغرافي انظر: Janin, *Constantinople byzantine*, 7-14.
[87] وليم الصوري، ج١، ص١٦٠؛ William of Tyre, *Deeds*, I, 127.
[88] وليم الصوري، ج٤، ص ١٤٤-١٤٥؛ William of Tyre, *Deeds*, II, 382.
[89] وليم الصوري، ج١، ص ١٦٢.
[90] وليم الصوري، ج٤، ص ١٤١؛ William of Tyre, *Deeds*, II, 379.
[91] وليم الصوري، ج٤، ص ١٤٢؛ William of Tyre, *Deeds*, II, 379-380. Cf. also Langille, *La Constantinople de Guillaume de Tyr*, 183-185.
[92] انظر مناقشة هذا الموضوع في: Langille, *La Constantinople de Guillaume de Tyr*, 186-192; Carrier, *L'image du Grec*, 115-120, 190-191; S. Runciman, "The Visit of Amalric I to Constantinople in 1171", in (eds.)

B. Z. Kedar, R. C. Smail, and H. E. Mayer, *Outremer: Studies in the History of the Crusading Kingdom of Jerusalem* (Jerusalem, 1982), 153-158.

[93] Janin, *Constantinople byzantine,* 121.

[94] وليم الصوري، ج٤، ص١٤١-١٤٢.

[95] وليم الصوري، ج٤، ص١٤٢-١٤٤.

[96] ولـيم الـصوري، ج٤، ص ١٤٣-١٤٤؛ William of Tyre, *Deeds*, II, 381. Cf. also Langille, *La Constantinople de Guillaume de Tyr*, 195.

[97] وليم الصوري، ج٤، ص١٤٤؛ William of Tyre, *Deeds*, II, 381-382. Cf. also Langille, *La Constantinople de Guillaume de Tyr*, 196-197.

[98] Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze*, 208.

[99] Langille, *La Constantinople de Guillaume de Tyr*, 192-193.

[100] وليم الصوري، ج٤، ص١٤٤-١٤٦.

[101] وليم الصوري، ج٤، ص١٤٦.

[102] Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze,* 197.

[103] طارق منصور، دراسة نقدية تحليلية لمصادر تاريخ الدولة البيزنطية في عصرها الأخير، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٦٤.

[104] عن مواقع المنشآت المدنية والدينية الواردة في البحث انظر الخريطة الملحقة به.

[105] انظر اللوحة رقم ١٢. سمي هذا القصر الإمبراطوري باسم قصر بوكليون نسبة إلى مرفأ القصر المسمى بذلك الاسم حيث نصب تمثال ضخم لثور يقاتل أسدا. وهذا القصر عبارة عن مجموعة من المباني المتجاورة شيدت بأيدي أباطرة مختلفين. وقد ظل هو القصر الإمبراطوري الذي تدار دفة الحكم منه، ربما حتى عصر آل كومنينوس، الذين فضلوا الإقامة في قصر البلاشيرن. انظر: س. رنسمان، الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد (القاهرة، ١٩٦١)، ص ٢٢٦-٢٢٧؛ Guilland, *Constantinople byzantine,*249-293; Janin, *Constantinople Byzantine*, 120-121; P. Magdalino, "Manuel Komnenos and the Great Palace", *Byzantine and Modern Greek Studies* 4(Oxford, 1978), 101-114.

[106] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٢٤؛ *Robert of Clari,* 102-103.

[107] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٢٦؛ *Robert of Clari,* 105. Cf. also Carrier, *L'image du Grec,* 111-112.

[108] انظر اللوحة رقم ٦.

[109] كانت ساحة مضمار الخيل (الهيبودروم) تبلغ ٦٤٠ ذراعاً طولاً في ١٦٠ ذراعاً عرضاً. انظر: أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص ٢٠. لمزيد من التفاصيل عن الهيبودروم انظر: Guilland, *Constantinople byzantine,* 396 ff.; Janin, *Constantinople byzantine,* 177-191.

[110] كان يؤدي إلى هذه المقصورة الإمبراطورية دهليز طويل يربط بينها وبين القصر الإمبراطوري، ويقع أمام باب الهيبودروم، يسير فيه الإمبراطور البيزنطي وحاشيته من القصر إلى المقصورة الملكية التي تطل على مضمار الخيل. وكانت مساحة هذا الدهليز تبلغ مائة خطوة في عرض خمسين خطوة، وعلى الجانبين من الدهليز أسرّة موضوعة عليها فرش من ديباج ومضربات ووسائد، وعليها قوم من السودان متنصرة، بأيديهم أترسة ملبسة ذهباً، ورماح عليها ذهب. انظر: ابن رسته، الأعلاق النفيسة (ليدن، ١٨٩١)، ص ١٢٠. وبطبيعة الحال أقيم هذا الدهليز لدواعي أمنية بحتة، أو لضمان سلامة الإمبراطور وحاشيته، إذا ما وقع حادث أو ثورة في الهيبودروم، كما حدث في ثورة نيقا عام ٥٣٢م.

[111] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٣٠؛ *Robert of Clari,* 109-110

لمزيد من التفاصيل عن مضمار الخيل انظر: نجلاء مصطفى، مدينة القسطنطينية، ص ٩٣-٩٧؛ ليلى عبد الجواد، القسطنطينية في ضوء كتابات الرحالة والجغرافيين المسلمين، المؤرخ المصري، عدد٤(١٩٨٩) ص ١٢٠-١٢٤؛ A. Vogt, "L'hippodrome de Constantinople", *Byzantion* 10(1935), 471-488.

[112] Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze,* 207.

عن تماثيل الهيبودروم انظر: S. G. Bassett, "The Antiquities in the Hippodrome of Constantinople", *Dumbarton Oaks Papers* 45(1991), 87-96.

[113] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٣١؛ *Robert of Clari,* 110

[114] Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze,* 206.

[115] Niketas Choniates, *O the City of Byzantium, Annals of Niketas Choniates*, Eng. trans. H. Magoulias (Detroit, 1984), 305-306.

[116] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٢٨؛ *Robert of Clari*, 107.

[117] تحطم تمثال قسطنطين، المرتفع فوق قمة عموده عام ١١٠٦م. حول هذا التمثال انظـر: C. Mango, "Constantine's Column", in *Studies on Constantinople* (Aldershot, 1993), no. III, 1-7.

[118] الهروي، كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق جانين سورديل (دمشق، ١٩٥٣)، ص ٤٩؛ ابن الوردي، خريدة العجائب وفريـدة الغرايـب (القـاهرة، ١٨٥٩)، ص ٧٧؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (بيروت، د.ت.)، ص ٤٠٧.

[119] Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze*, 200, 201.
كانت القسطنطينية على عهد جستنيان تزينها سبعة أعمدة، بقي منها ثلاثة وفقد أربعة. عن هذا الموضوع وعن تمثال جستنيان انظر: C. Mango, "The Columns of Justinian and his Successors", in *Studies on Constantinople, Variorum* (Aldershot, 1993), no. X, 1-20; Idem, "Justinian's Equestrian Statue", *The Art Bulletin,* XLI(New York, 1959), 1-16. repr. also in *Studies on Constantinople, Variorum* (Aldershot, 1993), no. XI.
يشير أحد المصادر بالتفصيل إلى التماثيل التي كانت تقع عند كنيسة آيا صـوفيا. انظـر: *Constantinople in the Early Eight Century: The Parastasies Syntomoi Chronikai,* ed. and trans. A. Cameron & J. Herrin in con. with Alan Cameron, R. Cormack and C. Roueché, *Coulombia Studies in the Classical Tradition,* X(Leiden, 1984), 70, 72.

[120] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٢٨؛ *Robert of Clari*, 107.

[121] أي حوالي خمسون مترا، والارتفاع يبلغ على الأقل مائة متـر. انظـر: Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 176, n. 283.

[122] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٤٨؛ *Robert of Clari*, 124.

[123] روبرت كلاري، فتح القـسطنطينية، ص ١٣١-١٣٢، ١٤٨؛ *Robert of Clari*, 110-111, 124.

[124] عن هذا الميدان انظر: R. Janin, "Du Forum Bovis au Forum Tauri etudes topographie", *Revue des Etudes Byzantines* 13(1955), 85-108.

[125] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 176, n. 282; Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze*, 204.

[126] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٤٨-١٤٩؛ *Robert of Clari*, 124.

[127] اغتصب مُرزوفليوس الحكم في القسطنطينية من الإمبراطور البيزنطي الكسيوس الرابــع، بعد أن دبر مؤامرة ضده، عشية الغزو الصليبي لهــا عــام ١٢٠٣-١٢٠٤م. وقــد أودع الكسيوس السجن فترة من الوقت ثم اغتاله في نهاية المطاف أعلن موته والحداد عليه بعــد ذلك. وقد تمكن من الفرار من المدينة بعد أن هزم من الصليبيين. انظر: فلهاردوان، فــتح القسطنطينية، ص ١١٧-١٢٠؛ اسمت غنيم، الحملة الصليبية الرابعة، ص ٩٦.

[128] Villehardouin, *The Conquest of Constantinople,* 108-109.
انظر أيضا: فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ص ١٤٦-١٤٨.

[129] هذه البوابة شيدها الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير ٣٧٩-٣٩٥م، تخليدا لذكرى انتــصاره على غريمه مكسيموس عام ٣٨٨م. لمزيد من التفاصيل عن بوابات القــسطنطينية انظــر: A.Van Millingen, *Byzantine Constantinople the Walls of the City and Adjoin Historical Sites* (London, 1899), 59-73.

[130] لم تكن البوابة الذهبية هي الوحيدة فقط المخصصة لخروج أو عودة الإمبراطور البيزنطي من القتال، كما أشار كلاري، بل كان الإمبراطور يستخدم أحيانا بوابة أدريانوبوليس، التــي تقع شمال البوابة الذهبية وتفتح على الميزي، الذي يمر بميدان ثيودوسيوس، حيــث كــان يعتبر الطريق الذي يمر منه الإمبراطور حينذاك طريقا للنــصر. انظــر: C. Mango, "The Triumphal Way of Constantinople and the Golden Gate", *Dumbarton Oaks Papers* 54(2000), 174.

[131] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٢٩-١٣٠؛ *Robert of Clari,* 108-109.

[132] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٢٩؛ *Robert of Clari,* 108.

[133] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٢٤؛ *Robert of Clari,* 103.

[134] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٢٤-١٢٥؛ *Robert of Clari,* 103-104.

[135] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٢٦؛ *Robert of Clari,* 105.

[136] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٢٩؛ *Robert of Clari,* 107-108.

[137] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٢٧؛ *Robert of Clari,* 106.

[138] Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze,* 200.

[139] Liddell and Scott, *An Intermediate Greek- English Lexicon* (Oxford, 1986), 5, 737.

[140] انظر اللوحة رقم ٤.

[141] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٢٧؛ *Robert of Clari*, 106.

[142] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٢٨؛ *Robert of Clari*, 106-107.

[143] Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze*, 200.

[144] Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze*, 202.

[145] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٢٩؛ *Robert of Clari*, 107-108.

[146] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٣٣؛ *Robert of Clari*, 112.

[147] Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze*, 208-209.

[148] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٣٣؛ *Robert of Clari*, 112.

[149] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 172, n. 238.
عن موقع هذا الدير انظر الخريطة الملحقة بالبحث، وكذلك اللوحة رقم ٧.

[150] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ٢٩.

[151] يظهر من أحد الخطابات البابوية المرسلة في ١٣ نوفمبر ١٢٠٤م إلى رجال الدين المصاحبين للجيش الصليبي بالقسطنطينية أن البابا،"... الذي له السيادة على مملكة الإنسان، كان مبتهجا لتحول إمبراطورية البيزنطيين [حرفيا اليونانيين] من الفخر إلى المذلة، ومن العصيان إلى الطاعة، ومن المنشقين إلى الكاثوليكيين". انظر نص الخطاب في: A. J. Andrea with contributions by B. E. Whalen, *Contemporary Sources for the Fourth Crusade* (Brill, 2000), 115-126. Cf. also Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 16.

[152] وصل قرار الحرمان الكنسي إلى زعماء الحملة الصليبية الرابعة وهم أمام مدينة زارا؛ ومع هذا ضربوا به عرض الحائط، ولم يرحموا المدينة من الأسر. بيد أن الصليبيين راسلوا البابا وتمكنوا من رفع قرار الحرمان عنهم، قبل الوصول إلى القسطنطينية. انظر: روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ٤٨-٥٠؛ *Robert of Clari*, 44-45.

[153] كان اللاتين من الأمالفيين والبيازنة والبنادقة والفرنجة والألمان المقيمين في القسطنطينية، على علم كاف بمحتويات المدينة ومعالمها وذخائرها نقلاً عن البيزنطيين أنفسهم، وربما كانوا يعملون مرشدين لذويهم عند زيارتهم للقسطنطينية. انظر: Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze*, 211.

[154] تحتل هذه الكنيسة مكانة مهمة بين البيزنطيين لأنها منذ أن نشأت فــي عهــد قــسطنطين العظيم، اُتخذت مدفنا لمعظم الأباطرة، كما أنها كانت تحوي عددا مــن رفــات القديــسين، والذخائر المقدسة الأخرى. انظر: أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص ٢٤.

[155] Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze,* 200-201.

[156] انظـــر: Ciggaar, *Une description de Constantinople dans le Tarragonensis*, 119-128.

[157] Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze,* 210-211.

[158] يقدم هارون بن يحيي رواية مهمة عن هذه الأديرة وعددها ونظمها، حيــث يقــول: "إن حوالي قسطنطينية ديرات الرهبان، وعلى باب قسطنطينية دير يدعى دير ســاطرا ينزلــه خمسمائة راهب. وهذا النهر الذي يدخل المدينة ينقسم ثلاثة أقسام يجرى في وسطه، وعلى فرسخ مما يلي الشمال من المدينة دير يقال له مونس فيه ألف راهب، ومما يلــي شــرقي قسطنطينية منها على أربعة فراسخ ، موضع فيه أربعة ديرات فيها اثنا عشر ألف راهــب أحدها مونس والثاني فسادر والثالث قوقياى، والرابع دير مريم، ومما يلي غربــي المدينــة ديران فيهما ستة آلاف راهب، ثم تخرج فتصير في صحراء ملساء فيها مــزارع وقــرى اثنتى عشرة مرحلة حتى تنتهي إلى مدينة يقال لها سلوقية وهى مدينة عظيمة كبيرة مما يلي مشرق المدينة الجبل وغربيها البحر ولها أربعة أنهار تسقيها وفيها دير يقال له مرقش فيــه اثنا عشر ألف راهب". انظر: ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص١٢٧. انظر أيــضاً، نجــلاء مصطفى، القسطنطينية، ص ١٤٩-١٥٧، ١٨٧-١٩٦؛ ليلى عبد الجواد، القسطنطينية فــي ضوء كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين، مجلة المؤرخ المصري، عدد٣(١٩٨٩)، ص ١٨٤-١٩٠؛ طارق منصور، هارون بن يحيي مصدر من مــصادر التــاريخ البيزنطــي، حولية كلية التربية للبنات بالطائف، عدد ٦(١٤٢٥-١٤٢٦هــ)، ص ٥١.

[159] الأعلاق النفيسة، ص ١٣١.

[160] تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (بيــروت، د.ت.)، ص ٣٣٦. وقــد أشار ابن بطوطة أيضا إلى بعض الأديرة الواقعة بالمدينة. انظر، نفس المصدر، ص ٢٣٥.

[161] مختصر كتاب البلدان (ليدن، ١٣٠٢هــ)، ص ١٥٠.

[162] فتح القسطنطينية، ص ١٣٢؛ *Robert of Clari,* 112.

[163] فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ص ٨٩؛
Villehardouin, *The Conquest of Constantinople*, 59.

[164] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٢٢-١٢٣؛ *Robert of Clari*, 100-102.
لقد اتفق نبلاء وسادة الحملة الصليبية على تقسيم أحسن دور المدينة فيما بينهم، دون أن يصل ذلك إلى عامة الصليبيين أو صغار الفرسان، حيث استولوا على القصور والكنائس والأديرة الثرية؛ فقد استولى بونيفاس دي مونتفرات، على سبيل المثال، على قصر بوكليون الإمبراطوري، وعلى كنيسة آيا صوفيا وبيوت البطريرك، وهكذا فعل باقي النبلاء؛ ولعل هذا ما أدى إلى اندفاع عامة الصليبيين إلى نهب المدينة، وتناسيهم القسم الذي أقسموه أمام قوادهم، على الآثار المقدسة بعدم نهب الكنائس أو الأديرة بالمدينة.(Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 16.) بل أن فلهاردوان يذكر أن القادة الصليبيين أمروا أعضاء الحملة بعدم المساس بأي من الغنائم إلى أن يعاد توزيعها عليهم طبقا للرتب؛ وهو الأمر الذي أخلوا به جميعا الكبير منهم قبل الصغير.(فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ١٢٩-١٣٠؛ Gunther of Pairis, *HystoriaConstantinopolitana*, 16).

[165] لا يمدنا جونتر إلا بالنذر اليسير عن حياته وكيف دخل الدير. وقد أمكن التوصل إلى بعض الإشارات التي تلقي الضوء على حياته، فقد ولد نحو منتصف القرن ١٢ م في وادي الراين الأعلى جنوب شرقي ألمانيا، في منطقة تقع قرب مدينة بازل. وربما كان ينتمي إلى إحدى اسر الفرسان الصغيرة، المعروفة بولائها لأسرة الهوهنشتاوفن؛ ولا يبدو أنه تدرب ليصبح محاربا البتة. ويبدو من مؤلفاته أنه تعلم جيدا، ودرس الآداب الكلاسيكية اللاتينية، وكان عارفا باللغة اليونانية، بحكم كونه راهبا، وأنه كان معلما في إحدى المدارس الكاتدرائية، التي يبدو أنها كانت تقع في أرض الراين. انظر:
Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 4-6.

[166] يشير في الفصل الخامس والعشرين من كتابه "تاريخ القسطنطينية" إلى أنه كان راهباً في دير باريس. Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 130-131.

[167] هذه الأعمال هي *Historia Iherosolimitana*, *Ligurinus*, *Hystoria Constantinopolitana* and *De oratione ieiunio et eleemosyna*.

[168] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 3.

[169] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 11.

[170] كان لقب أبوتAbbot يعطى لمن يرأس اثنى عشر راهباً أو أكثر. وهو مشتق من الكلمة السريانية أبا Abba التي تعود إلى الكلمة العبرية Ab، والتي تعني أب. وكانت في بلاد الشام ومصر تعطى كلقب شرفي أو للاحترام، ثم صارت تمنح لأي راهب كبير السن. ومن الشرق انتقل اللقب إلى الغرب ليستخدم للإشارة إلى رئيس الدير. انظر:
http://www.catholicencyclopedia.com/a/abbot

[171] أرسل البابا أمرا بابويا لمجموعة من رجال الدين للمشاركة في الحملة، ويبدو أن مارتين، رئيس دير باريس، كان من ضمنهم، على حد زعم جونتر الباريسي. Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 21 ff.

[172] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 14.

[173] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 17.
يختلف هذا الرأي عما ذهب إليه ا.د. حسن حبشي، حيث يرى أن هدف جونتر من تأليف الكتاب كان دراسة الآثار المقدسة والمخلفات الدينية للشهداء والقديسين مما استحضره معه من القسطنطينية. انظر: روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ٢٣.

[174] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 109.

[175] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 16.

[176] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 109.

[177] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 15.

[178] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 94.
يشير جونتر الباريسي إلى أن القسطنطينية عندما أنشأت لم تكن بهذا الجمال والروعة التي عليها زمن الحملة الصليبية الرابعة، بل كانت مثلها مثل أية مدينة في ذلك الوقت؛ ويشير إلى أن اليونانيين كانوا يطلقون عليها اسم "بيزنطة"، وهو الاسم الذي صارت تحمله العملة الذهبية التي تسك هناك، والتي يطلقون عليها اسم "بيزنط". كما يضيف أنا تبوأت هذه المكانة بفضل رؤية للإمبراطور قسطنطين. انظر: Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 99. ثم ينتقل جونتر للحديث عن هذه الرؤية وكيف كان لها تأثير في روعة وجمال المدينة. انظر: Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 101-102. ويضيف أن قسطنطين أحضر البناءين والنجارين وأمر بتشييد المدينة وتحصينها بالأسوار والأبراج، وزينها بالكنائس والمنشآت الأخرى حتى أصبحت بالجمال التي هي عليه، وجاءت كنسخة من مدينة روما، على حد قول أبنائها. لذا

فإن المدينة تسمى أحيانا "روما الثانية"، والأرض المتصلة بها كثيرا ما يطلق عليها اسم "رومانيا". بيد أن قسطنطين أمر أن تحمل المدينة اسمه، فصارت تعرف باليونانية باسم قسطنطينوبوليس، أي مدينة قسطنطين. انظر: Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 102.

[179] يذكر روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١١٠، أن القادة الصليبيين "استقدموا جميع رجال الجيش وجعلوهم يقسمون على الآثار المقدسة قسما يجلبون بمقتضاه إلى المعسكر مباشرة كل ما يقع في أيديهم من الأسلاب والغنائم سواء أكانت فضة أم ذهبا، وكذلك الأقمشة الجديدة إذا بلغت قيمتها خمس سوسات أو أكثر ولم يستثنوا من ذلك غير الآلات والمأكل، وألا يستعملوا العنف مع أية امرأة أو يجردوها من أي لباس ترتديه، ومن يمسك متهما بذلك سيكون جزاؤه القتل، كذلك جعلوهم يقسمون على الآثار المقدسة ألا يتعرضون لراهب أو قس أو كاهن بسوء دفاعا عن النفس، وألا يقتحموا كنيسة أو ديرا". كان الهدف من هذا القسم فقط توحيد صفوف الصليبيين في القتال ضد البيزنطيين وألا ينشغلوا بجمع الغنيمة، وأخيرا حتى يضمن أمراء الحملة مصادر الثراء بين أيديهم. وقد كان الأمراء الصليبيون في طليعة الذين استولوا على القصور والكنائس والأديرة بعد ذلك، دون عامة الفرسان الصليبيين وفقرائهم، دون أن يولوا أي اعتبار لهذا القسم، ومن ثم تبعهم باقي الجند في أعمال العنف والسلب والنهب.

[180] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 107.

[181] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 99.

[182] انظر اللوحات أرقام ٩-١٠، ١١.

[183] تجدر الإشارة إلى أن هذه الأسوار تهدمت في الزلزال الشديد والمخيف الذي ضرب مدينة القسطنطينية يوم السادس والعشرين من شهر أكتوبر عام ٧٤٠م. وقد هدم هذا الزلزال العديد من الكنائس والأديرة ومات فيه كثير من السكان. كما سقط تمثال قسطنطين العظيم، الذي كان مثبتا فوق بوابة أتالوس، وتمثال اتالوس نفسه، وتمثال أركاديوس المثبت فوق عمود اكسرولوفوس، وتمثال ثيودوسيوس الكبير المثبت فوق البوابة الذهبية، ولم تعد هناك سوى كنيسة واحدة في كثير من المدن والقرى الواقعة في تراقيا، ونيقوميديا في بيثينيا،

وبراينيتوس، ونيقية. *The Chronicle of Theophanes Confessor*, Eng. trans. C. Mango and R. Scott (Oxford, 1997), 572.

بيد أن ليو الثالث الأيسوري وقسطنطين الخامس قاما بترميم وتجديد هذه الأسوار، وإليهما تعود الكثير من النقـوش الموجـودة علـى هـذه الأسـوار. *Parastasies Syntomoi Chronikai*, 59,170.

[184] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 99.

تشير المصادر البيزنطية إلى أن الأسوار البحرية كانت مهملة حتـى عهـد الإمبراطـور تيبريوس أبسيمار (٦٩٨-٧٠٥م)، حيث أصلح ورمم هذه الأسوار. *The Parastasies Syntomoi Chronikai*, 59.

[185] جونتر هو الوحيد بين الكُتاب الصليبيين الذي يُطلق على هذا العمود مصطلح هرم، وهو خاطئ في هذا لأنه يقصد عمود ثيودوسيوس، الذي سبق الحديث عنه، نقلا عـن روبـرت كلاري. Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 116, n. 282.

[186] يقصد هنا مُرزوفليوس الذي خان الإمبراطور البيزنطي وحلفـاؤه مـن الـصليبيين فـي القسطنطينية، عندما نصب نفسه إمبراطوراً على بيزنطة، بعد أن شنق الإمبراطور وأبـاه؛ فحكم عليه الملك الصليبي بلدوين ورفاقه بالموت رميا من فوق قمة ذلك العمـود. انظـر: كلاري، فتح القسطنطينية، ص١٠١-١٠٢، ١٠٦-١٠٩، ١١١-١٢١، ١٤٧-١٤٩.

[187] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 116-117.

[188] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 117; Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze*,206.

[189] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 109.

[190] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 172, n. 238.

انظر اللوحة رقم ٨.

[191] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 109.

[192] انظر: Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 125-126.

انظر أيضاً: ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢٨٧. تجدر الإشارة إلى أن هذه الآثـار الدينية المقدسة قام أبوت مارتين بسرقتها، وحملها معه إلى الأراضي المقدسة ثم منها إلـى البندقية ثم أخيراً أودعها دير باريس بالألزاس. انظر: Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 118-123. وقد طاقت شهرتها الآفاق، لدرجـة أن الكاردينـال

بليو الباراتي أصدر مرسوما باسم البابا أوربان السادس يحث علـــى زيـــارة هـــذه الآثـــار والذخائر المقدسة التي بلغت ستين أثرا مقدسا في ديـــر بـــاريس. انظـــر: Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 179, n. 316.

193 Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gzae,* 195.

194 Villehardouin, *The Conquest of Constantinople,* 59, 76.
انظر أيضا: فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ص ٨٩، ١٠٨-١٠٩. انظر أيـــضا: رنـــسمان، الحضارة البيزنطية، ص ٢٢٧.

195 Villehardouin, *The Conquest of Constantinople,* 60.
انظر أيضا: فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ص ٩١.

196 Villehardouin, *The Conquest of Constantinople,* 92.
انظر أيضا: فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ص ١٢٧-١٢٨.

197 كان اليهود مع القرن الثاني عشر الميلادي يشكلون تجمعات ســـكانية فـــي كـــل المـــدن البيزنطية، تتحدث اللغة اليونانية البيزنطية. وتجدر الإشارة غلى انهـــم كـــانوا أقليـــات لا تختلط بغيرها من العناصر السكانية ببيزنطة. انظر: رنسمان، الحـــضارة البيزنطيـــة، ص ٢١٧-٢١٨.

198 Villehardouin, *The Conquest of Constantinople,* 67.
انظر أيضا: فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ص ٩٨.

199 عن هذه السلسلة انظر: ميخائيل عواد، مآصر بلاد الروم والإسلام (بغداد، ١٩٤٨).

200 Villehardouin, *The Conquest of Constantinople,* 66-67.
انظر أيضا: فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ص ٩٧-٩٨.

201 Villehardouin, *The Conquest of Constantinople,* 76.
انظر أيضا: فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ص ١٠٩.

202 Villehardouin, *The Conquest of Constantinople,* 84.

203 Villehardouin, *The Conquest of Constantinople,* 108-109. Cf. also Langille, *La Constantinople de Guillaume de Tyr*, 194.
انظر أيضا: فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ص ١٤٦-١٤٨.

204 See: Constantine Porphyrogenitus, *De Adminstrando Imperio,* ed. G. Moravcsik, eng. trans. R. H. Jenkins (Budapest, 1949), chap. 13, 65 ff, chap. 26 ; H. Ahrweiler, “Byzantine Concepts of the Foreigner: The Case of the Nomades”, in (eds. H. Ahrweiler and A. Laiou), *Studies in*

the Internal Diaspora of the Byzantine Empire (Washington, D.C., 1998), 4.

[205] انظر: رأفت عبد الحميد، قواعد الدبلوماسية البيزنطيــة، المجلــة التاريخيــة المــصرية، ٣٣(١٩٨٦)، ص ٢٩-٨٢.

[206] عن هذه القضية انظر: رأفت عبد الحميد، قضايا من تاريخ الحروب الصليبية (القــاهرة، ١٩٩٨)، ص ٦٧-١٢١؛ Carrier, *L'image du Grec,* 62-75.

[207] Odo of Deuil, *De profectione* , 69.

[208] فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ص ١١٨.

[209] Villehardouin, *The Conquest of Constantinople,* 85.

[210] Villehardouin, *The Conquest of Constantinople,* 85;

انظر أيضا: فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ص ١١٩.

[211] عبد العزيز رمضان، مانويل الأول كومنينوس، ص ١٢٥.